كتاب

إقامة البرهان

على نزول عيسى في آخر الزمان

أو

إبطال ما قيل من الخيالات والأوهام في حديث نزول عيسى عليه السلام

بقلم

الفقير إلى رحمة ربه خادم الحديث النبوي

عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري الحسني الادريسي

خريج جامعة القرويين بفاس وأحد علماء الأزهر . عفا الله عنه بمنه وكرمه آمين

تنبيه : هذا الكتاب يقضي على فتوى الأستاذ الشيخ محمود شلتوت تفصيلا وعلي النحلة القاديانية إجمالا ولن يستطيع أحد نقض ما فيه من الأدلة والبراهين .

مطبعة الاخوان المسلمين
بميدان الحلمية الجديدة بمصر

كتاب

إقامة البرهان

على نزول عيسى في آخر الزمان

أو

إبطال ما قيل من الخيالات والأوهام في حديث نزول عيسى عليه السلام

بقلم

الفقير إلى رحمة ربه خادم الحديث النبوي

عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري الحسني الادريسي

خريج جامعة القرويين بفاس وأحد علماء الأزهر . عفا الله عنه بمنه وكرمه آمين

تنبيه : هذا الكتاب يقضي على فتوى الأستاذ الشيخ محمود شلتوت تفصيلا وعلى النحلة القاديانيـة إجمالا ولن يستطيع أحد نقض ما فيه من الأدلة والبراهين .

مطبعـــة الاخوان المسلمين
بميدان الحلمية الجديدة بمصر

كلمة فضيلة الاستاذ الكبير الشيخ محمد زاهد الكوثري

والأستاذ الكوثري غني عن التعريف اذ
عرفه العالم الاسلامي ببحوثه القيمة واطلاعه
الواسع ومواقفه المشرفة ضد كل مبتدع زائغ
ولا تزال مقالاته التي كتبها دفاعاً عن الدين
ماثلة في الأذهان يتمثل فيها العلم الصحيح
والحجة الدامغة والعقيدة الحقة والاخلاص المتين
أطال الله حياته ونفع به المسلمين ؟

فضيلة الأستاذ العلامة المحدث الناقد السيد عبد الله الصديق الغماري ـ حفظه الله ـ له براعة فياضة تفيض تحقيقاً كلما جد الجد ووجب الرد فتقف المهجمين على معتقد الجماعة عند حدهم ، ولم تزل مواقف فضيلته ضد المشبهة ، ونفاة التوسل ، والمغالين في استنكار المحاريب ماثلة أمامنا ، تشهد له بنبل الرأى ودقة النظر وغزارة العلم والبراعة في الرواية والدراية ، فيتوالى شكر أهل العلم والدين من أعماق القلوب على إجادته البالغة في الرد عليهم، وقد أعد الله سبحانه له مثوبة عظيمة بقدر ما له من الاخلاص في العمل والنجاح في الجهاد والاجادة في الدفاع عن حوزة الدين . وها هو ذا قد وقف بالأمس الدابر وقفة الأسد في الرد على مشايع للرشيد القلموني (١) ـ الجاري وراء الدكتور صدقي المعروف ـ في إنكار نزول عيسى

---

(١) هو الشيخ رشيد رضا صاحب المنار

عليه السلام في آخر الزمان فقضى عليه بمقالاته المتعة المنشورة حديثاً في مجلة الاسلام الغراء فندعو الله سبحانه أن يرعاه ويكافئه على ذلك مكافأة المحسنين ويكثر من أمثاله في حراسة الدين والدفاع عن معتقد المسلمين . ومما يؤسف له أن يوجد بين صفوف حراس الدين من تتغلب عليه شهوة الظهور بالتجرؤ على العقيدة المتوارثة جرياً وراء الاستبعاد العقلي المجرد فيما لا يحيله العقل مع توارد الكتاب والسنة وإجماع علماء أهل السنة والجماعة على تحتم الأخذ بها ولا يكون ذلك إلا تزندقاً مكشوفاً في سبيل التجدد وفي مثله يقول الشاعر العربي :

تزندق معلناً ليقول قوم   من الادباء زنديق ظريف

فقد بقي التزندق فيه وصماً   وماقيل الظريف ولا الخفيف

وليس شيء أثقل من ذلك على نفوس الأباة الكرام، ومحاولة المرء لوزن قدرة الله جل جلاله بمعياره الخاسر العيار وعقله القاصر عن اكتناه جزء من الكون فضلا عن اكتناه صفة من صفات مكون الأكوان تدل على أنه مصاب في عقله قبل أن يصاب في دينه ، والركض وراء ذلك الاستبعاد المجرد يدل على فقد الايمان بالغيب ، والاقتصار على المحسوس ، وفاقد الايمان بالغيب فاقد الايمان كله ، والاقتصار على المحسوس شأن البهيم فنعوذ بالله من الخذلان وفي مسألة رفع عيسى عليه السلام حياً ونزوله في آخر الزمان تضافر الكتاب والسنة وإجماع اهل السنة والجماعة فقوله تعالى: «وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته» بمعنى ليس أحد

من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسي قبل موت عيسي لأن عود ضمير (قبل موته) إلي عيسى هو مقتضي الرواية حيث صح ذلك عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ واستفاض عن ابن عباس رضي الله عنهما بدون أن يصح ما يناهض ذلك عن أحد من الصحابة ولأن عود ذلك الضمير إلي عيسى هو مقتضي الدراية أيضاً حيث يلزم من عوده إلى غير عيسى ـ وهو أحد من أهل الكتاب ـ أن يؤمن كل كتابي من اليهود وغيرهم قبل موته بعيسى فاما أن لا يعتد بذلك الايمان فينافيه إقسام الله سبحانه عليه وإما أن يعتد به فلا يكون يهود ولا نصارى بل يكون الجميع ملة واحدة مع أن الاجماع على عدم رد اليهود والنصارى إلى غير أهل دينهم في المواريث وسائر الحقوق يدل على تمايز الملتين وعلى أن اليهود يهود والنصارى نصارى ما لم نعلم اهتداء أحد منهم إلى الاسلام فنحكم فيه أنه مسلم . فلو كان يهودى يؤمن قبل موته بعيسي عليه السلام ما صح رد ورثته إلى اليهود وقد قال الزهري : « مضت السنة على أن يرد أهل الكتاب في حقوقهم ومواريثهم إلي أهل دينهم إلا أن يأتوا راغبين في حكم الله فيحكم بينهم بكتاب الله » وحيث استحال عود ذلك الضمير إلي غير عيسى للسبب المشروح تعين عوده إلى عيسى من جهة الدراية أيضاً وهكذا تطابقت الرواية والدراية علي أن موت عيسي عليه السلام يكون بعد نزوله في آخر الزمان ، وإذ ذاك يكون الجميع أمة واحدة بايمانهم كلهم بما يدعو اليه عيسى إذ ذاك وهو دين الاسلام . ثم الضمير في قوله تعالي : « وإنه لعلم للساعة » يتعين

إرجاعه إلى عيسى عليه السلام أيضاً لأنه هو المذكور في سياق الآية ولا ذكر للقرآن في السياق حتي يستساغ إرجاعه اليه دراية . وأما من جهة الرواية فلم يصح عن أحد من الصحابة خلاف ما استفاض عن ابن عباس من إرجاع الضمير إلي عيسى السلام فتطابقت هنا أيضاً الدراية والرواية على أن عيسي سبب علم للساعة حيث يعلم بنزوله قيام الساعة كما تواترت السنة وتطابق الاجماع على ذلك . وأما ما وقع في تفسير سورة المـــائدة ـ في غير مظنته ـ من صحيح البخاري من قوله : « قال ابن عباس : متوفيك مميتك » فخاو عن السند فلا يصلح للاحتجاج به وكم له من هـذا القبيل في كتاب التفسير مما لا يحتج به عند أهل الصنعة . وهـذه الرواية واردة بطريق عبد الله بن صالح عن معاوية الحضرمي عن ابن أبي طلحة عن ابن عباس عند ابن جرير وغيره . فعلى بن أبي طلحة لم يدرك ابن عباس اتفاقاً ، ففي الرواية انقطاع ثم ابن أبي طلحـة والحضرمي وعبد الله كاتب الليث مختلف فيهم وليسوا من شرط البخاري . فأني تصح رواية هـذا شأنها ؟ حتى يتصور أن تناهض ما صح واستفاض عن أبي هريرة وابن عباس رضي الله عنهما على أن حملها على التقديم والتـأخير ـ مثل واسجدى واركعى ـ كما فعل الفراء وغيره يجعلها متفقة مع الرواية الصحيحة كما أشرنا إلى ذلك في مقالنا في العدد ١٨ لسنة ١٣٦١ هـ .

وليس ما في العتبية من عزو موته ـ وهو ابن ثلاث وثلاثين ـ إلي مالك رضي الله عنه بصالح أن يكون عذراً لمن شذ وقال بموته

حيث لا مستند له من الكتاب والسنة والاجماع إزاء تلك الجبال الشواهق من الحجج على أن العتبية المعروفة بالمستخرجة اشتهرت بين المالكية بأنها مجمع الروايات المطروحة والمسائل الشاذة وأن جامعها كان يؤتي بالمسألة الغريبة فاذا أعجبته قال أدخلوها في المستخرجة . بل قال ابن عبد الحكم رأيت جلها كذباً ومسائل لا أصول لها، فالاغترار بها اغترار في غير محله إلا أن حب الشذوذ مرض في بعض النفوس . وبعد هذا الاستطراد نعود فنقول : إن فضيلة الأستاذ الغماري وفى بوعده وأتم تأليف كتابه البديع المسمى « إقامة البرهان على نزول عيسى فى آخر الزمان » وأحسن كل الاحسان فى إقامة الحجج من الكتاب والسنة والاجماع على المسألة وقد سرد فيه من طرق حديث النزول مايشهد له بالتوسع البالغ فى الحديث ويسجل له كل فخر على ناصية الدهر فأبان بذلك قوة تواتر هذا الحديث عند كل منصف غير متعسف فيكون كتابه الخالد هذا حارساً لقلوب الأجيال المقبلة من أن يتسرب اليها شكوك المشككين من القاديانيين وأذيال القاديانيين حيث لم يدع ناحية من نواحى هذا الموضوع بدون أن يقتلها بحثاً فيقتنع المطالع المتبصر بمجرد مطالعته بتواتر خبر نزوله عليه السلام فى آخر الزمان وهذا قاض على الشق الأول من زعم المردود عليه بأن « نزول عيسى عليه السلام إنما ورد بطريق الآحاد وخبر الآحاد لا يفيد عقيدة » . وأما الشق الثاني فلا يمشى إلا على النقل الشاذ من الأشعرى المردود عند المحققين لأن العقد الجازم هو المعتمد شرعا وهذا قد يحصل بخبر الآحاد وبالتقليد كما يحصل

بالبراهين المفيدة للعلم وفي قصر الاعتداد في العقد الجازم على إيمان أهل البرهان إكفار لدهماء الأمة وهذا يكون مجازفة شنيعة بل إفادة خبر الآحاد العلم رأي كثير من علماء هذه الأمة ولا سيما عند احتفافه بالقرائن وخاصة فيما أخرجه الشيخان من غير منازع أو اتفقت الأمة على الأخذ به بل لا يرد خبر الآحاد عند أهل العلم إلا عند مخالفته لكتاب الله أو سنة رسوله المتواترة أو المشهورة أو عند ما عده العقل محالا فيما لا يحتمل التأويل لأن الشرع إنما يرد بمجوزات العقول لا بما تحيله كما في «الفقيه والمتفقه» للخطيب البغدادي وغيره . وصفوة القول أن المؤلف أجاد كل الاجادة في تأليفه هذا فندعو الله سبحانه أن يكافئه على هذه الاجادة وأن يوفقه لتأليف كثير من أمثاله في خير وعافية ، وأن ينفع به المسلمين .

محمد زاهد الكوثري

إهداء الكتاب

إليك سيد المرسلين . وخاتم النبيين . . وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين . أهدي كتابي هذا — الذي دافعت به عن سنتك ونفيت عنها — بقدر استطاعتي — تحريف الغالين . وانتحال المبطلين . وتأويل الجاهلين . لا أبتغي بذلك إلا أن تكون شفيعاً لي يوم يقوم الناس لرب العالمين .

ولن يضيق رسول الله جاهك بي
إذا الكريم تحلى باسم منتقم

خادم حديثك

عبد الله بن محمد بن الصديق

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم لك الحمد كله . ولك الملك كله . و بيدك الخير كله . وإليك يرجع الأمر كله . علانيته وسره . لك الحمد إنك على كل شيء قدير . اللهم صل وسلم وبارك على عبدك و نبيك سيدنا محمد المبشر النذير . والسراج المنير . الذى ختمت به الانبياء . وفضلته على جميع الرسل والأصفياء . جعلته نبيا وادم بين الروح والجسد وحكمت لشريعته بالبقاء إلى اخر الأبد . خلقته نوراً قبل خلق الأشياء ثم بعثته مشعاً بعد ان عمت هذا العالم ظلمات الشرك والجهل والجور والشقاء . فعم الأرض نوره وعلمه ووسع الناس عدله وحلمه . فهو الفاتح الخاتم . ورسول الله إلي جميع العوالم . لا نبي بعد نبوته . ولا شرع غير شرعته وملته . فابلغه اللهم منا أفضل الصلوات . وأزكى التسليمات . واجزه عنا بأجزل الخيرات . وأجل المكرمات . وارض اللهم عن آله الطيبين الطاهرين . وصحابته الأكرمين . وعمن تبع طريقهم باحسان من غير تحريف ولا تبديل إلي يوم الدين . ووفقنا اللهم فيما إنتدبنا له من الدفاع عن سنته . وأدم هدايتنا بدوام اتباع هديه وطريقته . حتي نحشر يوم العرض في زمرته . ونكون من أسعد من يسعد بشفاعته . بفضلك وكرمك يا ذا الفضل العظيم . ويا صاحب الكرم الواسع العميم .

أما بعد : فقد ظهر في هذه الأزمان المتأخرة طائفة كافرة

خامرة . تدعي الاسلام وهو منها براء . وتنشر بنشاته — في زعمها — آراء . كلها ضلال وإفك وافتراء . تزعم في شأن زعيمها غلام احمد القـاديانى أنه نبي ظلي يوحى اليه . ومعنى الظلية في كلامهم أنه لم يأت بشرع جديد . وإنما بعث ليصلح ما أفسدته يد الحدثان في شريعتنا الحنيفية السمحة ويشبهون حالة نبوته وإصلاحه بحال عيسى عليه الصلاة والسلام حيث بعث تابعا للشريعة الموسوية ومصلحا لما حرف من أحكامها وتعاليمها . وتالله إن زعمهم ذلك لباطل . وان تشبيههم هذا لخال عن الجامع وعن حلية الحق والتحقيق عاطل . ذلك أن عيسى بن مريم عليهما السلام رسول كريم . بعثه الله في وقت لم تنقطع فيه النبوة والرسالة . لاحتياج الناس إذ ذاك إلى من يزيل ما ران على قلوبهم وعقولهم من الجهالة والضلالة . مع ما ثبت من تحريف اليهود للتوراة . وتبديلهم للاحكام التي أنزلها الله كما شهد به القرآن وأثبته التاريخ الصحيح واعترف به علماء اليهود أنفسهم باللفظ الصريح . فلما بعث الله نبيه محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بدينه الذي أكمله وارتضاه حيث قال جل علاه : إن الدين عند الله الاسـلام وقال عز ذكره « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » ولم يقبل دينا غيره حيث قال تبارك وتعالى «ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين» . وتولى حفظه بذاته حيث قال عز وجل « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » لم يبق للنـاس — بعد هذا — حاجة إلي نبي أو رسول . لحصول كمال الكفاية .

في تمام الرشد والهداية . بنبيهم الأكرم . ورسولهم الأعظم . إذ خلف فيهم الكتاب والسنة فيهما بيان كل شيء مما يحتاج اليه العباد في دينهم ودنياهم . في معاشهم ومعادهم . وتركهم علي الحجة البيضاء اوالضحة المعالم والمسالك . ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك . فلهذا ختمت النبوة بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم فلم يكن بعده نبي كما قال الله تعالى « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » . وفي الصحيح عن جابر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بني داراً فأتمها وأكملها إلا موضع لبنة فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون منها ويقولون لولا موضع اللبنة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأنا موضع اللبنة جئت فختمت الأنبياء . وفي الصحيح أيضاً عن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي . وفي رواية في الصحيح أيضاً أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي والحديث متواتر له أكثر من عشرين طريقاً استوعبها الحافظ ابن عساكر في كتاب خاص . وفي الصحيح أيضاً من حديث ابن أبي أوفى : ولو قضي أن يكون بعد محمد نبي لعاش ابنه ولكن لا نبي بعده . وقال ابن حبان في صحيحه أخبرنا عمر بن محمد الهمداني ثنا عبد الملك بن سليمان القرقساني ثنا عيسى بن يونس ثنا عمران بن سليمان القمي عن الشعبي قال سمعت فاطمة بنت قيس تقول صعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المنبر فحمد الله

وأثنى عليه ثم قال أنذركم الدجال فانه لم يكن نبي قبلي إلا وقد أنذره أمته وهو كائن فيكم أيتها الأمة إنه لا نبي بعدي ولا أمة بعدكم ألا إن تميماً الداري أخبرني وذكر حديث الجساسة .
والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جداً وهي قطعية الثبوت والدلالة لتواترها وصراحة ألفاظها . ولذا كان من مسائل الدين وقواعده الضرورية المجمع عليها أن من اعتقد أو ادعى وجود نبي ينبأ في هذه الأمة بعد نبيها محمد صلى الله عليه وسلم أو شك في متنبيء ادعى النبوة بحيث لم يجزم بكذبه . فهو كافر مرتد حلال الدم والمال . يستتاب فان تاب قبل . وإلا قتل . على هـذا اتفق المسلمون قاطبة لا فرق بين عالم وجاهل ولا بين سني وغيره . قال ابن حزم الحافظ في كتاب مراتب الاجماع : باب من الاجماع في الاعتقادات يكفر من خالفه باجماع . اتفقوا أن الله عز وجل وحده لاشريك له خالق كل شيء غيره وأنه تعالى لم يزل وحده ولا شيء غيره معه ثم خلق الأشياء كلها كما شاء .. إلى أن قال : وأن دين الاسلام هو الدين الذي لا دين لله في الأرض سواه وأنه ناسخ لجميع الأديان قبله وانه لا ينسخه دين بعده أبداً وأن من خالفه ممن بلغه كافر مخلد في النار أبداً .. وأنه لا نبي مع محمد صلى الله عليه وسلم ولا بعده أبداً واتفقوا أنه مذ مات النبي صلى الله عليه وسلم فقد انقطع الوحي وكمل الدين واستقر اهـ .

وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره عند الكلام على قوله تعالى وخاتم النبيين ما نصه وقد أخبر الله تعالى في كتابه ورسوله في السنة

المتواترة عنه أنه لا نبي بعده ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفاك دجال مضل اه

وقال الألوسي في تفسيره ما نصه وكونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين مما نطق به الكتاب وصدعت به السنة وأجمعت عليه الأمة فيكفر مدعي خلافه اه .

فعلم مما ذكرناه أن ذلك الغلام القادياني ليس بنبي كما يزعم هو وطائفته ولكنه أحد الدجالين الذين أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنهم يدعون النبوة قبل الدجال الأعظم الذي يدعي الألوهية في الصحيح عن جابر بن سمرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول إن بين يدي الساعة كذابين . وفي الصحيح أيضاً عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله .

وروى ابن حبان في صحيحه أنا محمد بن عبدالله بن الجنيد ثنا قتيبة ابن سعيد ثنا حماد بن زيد عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي أسماء الرحبي عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وذكر الحديث بأطول مما في صحيح مسلم وقال في آخره وإنه سيكون في أمتي ثلاثون كذاباً كلهم يزعم أنه نبي وإني خاتم النبيين لا نبي بعدي ولن تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله .

وروي الطبراني وغيره عن نعيم بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذاباً كلهم يزعم أنه نبي وروى احمد والطبراني والضياء وغيرهم عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال في أمتي كذابون ودجالون سبعة وعشرون منهم اربع نسوة وإني خاتم النبيين لا نبي بعدي وعزاه الحافظ الهيثمي للبزار أيضاً وقال رجاله رجال الصحيح أه وفي المسند وغيره عن جابر عن النبي صلى الله وآله وسلم قال بين يدي الساعة كذابون منهم صاحب اليمامة ومنهم صاحب صنعاء العنسي ومنهم صاحب حمير ومنهم الدجال وهو أعظمهم فتنة قال جابر وبعضهم يقول قريباً من ثلاثين كذاباً . وعزاه الهيثمي للبزار أيضاً وقال في إسناده عبد الرحمن بن مغراء وثقه جماعة وفيه ضعف وبقية رجاله رجال الصحيح قال وفي سند احمد ابن لهيعة وهو لين اه

والأحاديث في هذا كثيرة والعدد المذكور فيها للتقريب لا للتحديد . وفيها معجزة من معجزات النبي صلى الله عليه وآله وسلم حيث وقع الأمر كما أخبر وظهر في الأمة كذابون متنبئون فيهم نساء كسجاح وغيرها ومن أحدث هؤلاء المتنبئين عهداً هذا الغلام القادياني الذي انبعث في الهند شيطاناً من شياطين الأنس فشق عصا المسلمين وفارق جماعتهم وفرق كلمتهم وبشر بمذهبه في كثير من البلاد خارج الهند علي أنه مذهب إسلامي صحيح . وهو والله مذهب الكفر الصريح . من اعتنقه خسر الدنيا والآخرة وباء بالضلال المبين . وكان يوم القيامة مع الكفرة الفجرة لا في زمرة المسلمين

وقد اتبعه ضعفاء العقول . من كل مختل جهول . لا يفهم ما يقال له ولا يفقه ما يقول . وهذا شأن الباطل لا يروج إلا على الطغام . والجهلة الذين هم كالأنعام . ومع أن الحق واضح أبلج . وطريق الاسلام مستقيم غير ذي عوج . تجد من ينحرف ذات الشمال وذات اليمين ، ويترك الهدى والنور لقول كذاب مهين ، فنعجب ولكن سرعان ما يذهب عجبنا حين نقرأ قول الله تعالى : ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين .

فصل : ثم إن هؤلاء القاديانية أو الأحمدية كما يتسمون ينحصر كلامهم فى عدة دعاوى نلخصها فيما يلي : أحدها أن عيسى عليه السلام مات وانتهى أمره ولا سبيل إلى رجوعه فى آخر الزمان وأن رفعه الوارد فى القرآن رفع معنوي ، ثانيها إنكار الدجال والدابة وغيرهما من أشراط الساعة الكبرى التي تواترت بها الأحاديث واتفقت عليها الأمة ، ثالثها ترك الاحتجاج بالسنة مطلقاً لا فرق بين متواترها وآحادها إلا اذا وافقت القرآن بحسب فهمهم ، رابعها وهى مترتبة على التي قبلها أنه ليس فى القرآن دليل يدل على انقطاع النبوة وقوله تعالي ولكن رسول الله وخاتم النبيين معناه الختم والطابع أي أن محمداً عليه الصلاة والسلام بالنسبة للأنبياء كالختم الذى يختم به على الشهادة مثلا وليس فى هذا ما يدل على أنه لا نبي بعده !! بل قوله تعالى وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل يدل عندهم على وجود نبي بعده !! وبناء على ذلك

تكون الأحاديث المصرحة بأنه لا نبي بعده مخالفة للقرآن فلا يعمل بها!! خامسها أن غلام احمد نبي يوحى اليه وأنه رسول العالم الموعود!!

وقد يتغالى بعضهم فيحمل قوله تعالى (ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) على غلامهم القادياني .

هذه أصول دعاواهم وأهمها وسائر كلامهم يتفرع منها أو يرجع إليها، وهي دعاوي ـ كما ترى ـ كلها كفر وضلال، إذا اعتقد الشخص واحدة منها خرج عن ملة الاسلام فكيف إذا اعتقد جميعها ؟ بل كيف إذا كان يدافع عنها ويحاول تثبيتها في عقول المسلمين بكل حيلة !؟ لا شك أن من فعل ذلك فكفره أشد وعذابه أكثر وأقبح نسأل الله العفو والعافية .

فصل : ثم إنهم دائبون على نشر دعاواهم المذكورة بمختلف الحيل والأساليب ، فطوراً يتقدمون بها في صورة سؤال، مكتفين أن يرد في الجواب كلمة يكون فيها تأييدهم ، وحينـاً يقدمونها أقوالاً مسلمة لا تحتمل النزاع والجدال ، وتارة يغرون على اعتناقها بالنشب والمال ، إلى غير هـذا مما يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال ؛ وهم في كل ذلك جهلة لا يفهمون العلم ، وإن فهموا شيئاً فلا يحسنون الفهم ، ليس لهم قواعد وأصول يرجعون إليها عند البحث والمناظرة ، وإن دعاهم مناظرهم إلى كتب الأصول الاسلامية وقواعدها المحكمة هربوا كأنهم حمر مستنفرة، فرت من قسورة ، الكلام معهم مضيعة ؛ وتعب في غير منفعة لأنهم

كما قلنا لا يفهمون ، فهم لأجل ذلك لا ينصفون ، وليجرب من شك في هذا يأت من جهلهم وتعصبهم ما لا يصفه الواصفون ،
وكان من أحدث ما فعلوه لترويج أباطيلهم وإعادة ذكرها على الأسماع والأذهان، بعد إذ نسيت مدة من الزمان، أن تقدم هندي منهم يسمى عبدالكريم خان في القيادة العامة لجيوش الشرق الأوسط بسؤال إلى مشيخة الأزهر جاء فيـــــه : « هل عيسى حي أو ميت في نظر القرآن الكريم والسنة المطهرة وما حكم المسلم الذي ينكر أنه حي وما حكم من لا يؤمن به إذا فرض أنه عاد إلى الدنيا مرة أخرى ؟ »

هذا ملخص ما جاء في ذلك السؤال ولم يكن مقدمه مستفيداً مسترشداً إذ لو أراد الاستفادة والاسترشاد لوجد في الكتب التي ألفها علماء الهند في هذه المواضيع باللغتين العربية والأردية ما يشفي علته ويروي غلته ، إذ قد ألف العلامة المحدث الكبير محمد أنور الكشميري الديوبندي رحمه الله وناله رضاه ، ثلاث رسائل : الأولى عقيدة الإسلام في حياة عيسى عليه السلام وعليها حاشية سماها تحية الإسلام ، الثانية : التصريح بما تواتر في نزول المسيح ، الثالثة : إكفار الملحدين . وكانت مطبوعة وللعلامة الكشميري المذكور منزلة كبيرة في نفوس المسلمين هنالك لم يكتسبها من مركزه الرسمي فحسب بل بما له من علوم ومواهب ، وبما ألفه من الكتب في الدفاع عن الدين ، والرد على الملحدين .

وقد أنف غيره أيضاً من العلماء ، في هذه الأشياء بحيث لم يتركوا لقائل مقالا، هذا غير ما ألقي من محاضرات، وما عقد من اجتماعات تشتمل على مناظرات ومجادلات ، مما نشر كله أو جله في الجرائد والمجلات ، إذن فذلك الهندي لم يكن بسؤاله مستفيداً مسترشداً ولكنه حاول أن ينتزع من هيئة دينية رسمية ما يجعله متكأ له يتوكأ عليه في دعاواه فأفلحت محاولته ، ونجحت حيلته ، ووقعت أعجوبة من أعاجيب الدنيا لعلها الأولى من نوعها ! !

تلك الأعجوبة هي أن هندياً عامياً ورط عالماً !! فقد صدر العدد الثاني والستون بعد الأربعمائة من مجلة الرسالة يوم الاثنين الخامس والعشرين من شهر ربيع الثاني سنة ١٣٦١ الموافق ١١ من مايو عام ١٩٤٢ يحمل فتوى بامضاء فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمود شلتوت عنوانها « رفع عيسى » ومضمونها أن عيسى عليه السلام مات موتاً حقيقياً وأنه لم يرفع بجسمه إلى السماء وأنه لا ينزل في آخر الزمان وأن الأحاديث الواردة في ذلك آحاد وأن الآحاد لا يعمل به في العقائد والمغيبات بالاجماع وأنها مضطربة اضطراباً لا مجال معه للجمع بينها وأنها فوق ذلك من رواية وهب بن منبه وكعب الأحبار ، وأن درجتهما عند أهل الحديث معروفة — أي أنهما غير مقبولين أو غير ثقتين — إلى غير هذا مما جاء في تلك الفتوى التي صادمت الاجماع وخالفت الأحاديث المتواترة ، ونابذت ما تواطأت عليه كتب التفسير والعقائد ودعت إلى إهدار الأحاديث النبوية الصحيحة في أهم مسائل الدين بدعوى أنها آحاد وحادت

بجملتها وتفصيلها عن الصراط السوى والطريق القويم ، ولا شك أن الفتوى على هذا الوجه ورطة كبيرة ، ووقعة عظيمة ، تدل أول وهلة على أن صاحبها صاحب العجل فيما كتب فأخطأه التوفيق ، فاذا وازن القارئ بينها وبين ما كتبه العلماء من غير مصر خرج من موازنته بالمسائل الآتية : أحدها أنه ليس لعلم الحديث في معاهد الأزهر وكلياته نصيب ، وهذا يؤخذ من «١» ادعاء المفتي آحادية حديث نزول عيسى عليه السلام ، ومن «٢» ارتيابه في صحة حديث هو في الصحيحين ، ومن «٣» ادعائه أن حديث النزول مروى من طريق وهب وكعب ، ومن «٤» محاولته تضعيفهما وهما من رجال الصحيح ، ومن «٥» ادعائه اضطراب أحاديث النزول اضطراباً لا مجال معه للجمع بينها . ثانيها ، أنه ليس في الأزهر من يعرف مواقع الاجماع والخلاف ، وهذا يؤخذ من «١» إنكاره رفع عيسى عليه السلام ونزوله ، ومن «٢» دعواه الاجماع على عدم العمل بحديث الآحاد في العقائد والمغيبات . ثالثها ، أن العالم الأزهرى لا يميل إلى البحث والاطلاع ومعرفة أقوال العلمـــاء بل يكتفي بالمعلومات العامة التي لا فضل للعالم في إدراكها على غيره ، وهذا يؤخذ من «١» مخالفة الفتوى لأشياء واضحة مقررة في كبار الكتب وصغارها ، ومن «٢» خلوها عن النقل عن عالم معتبر اللهم إلا نقل واحد عن الآلوسي اختزل اختزالاً ، وإحالة واحدة على زاد المعاد وفتح البارى ، مع أن أول واجب على المفتي أن يعرف الأقوال التي تتصل بفتواه . رابعها ، أن العالم الأزهرى إذا كان له غرض في رأي معين

فلا يقف في طريقه ولا يحجزه عنه نص ولا إجماع بل يحاول إنكار النص أو تأويله ويعرض عن أقوال العلماء كأن ليس لها ولهم وجود وهذا يؤخذ من «١» روح الفتوى إجمالا وما فيها من محاولات وروغان ، هذه الأمور يستخلصها القارئ بالموازنة كما قلنا فينسبها إلى الأزهر لأنه استخلصها من كلام أحد كبار علمائه وكبار موظفيه ، والنـــاس اليوم ينظرون إلى المظاهر الرسمية وبمقتضاها يحكمون بالجزء على الكل عكس ما يقتضيه المنطق الصحيح .

فصل : وقد اتخذ القاديانية تلك الفتوى عدة لهم وسلاحا وأخذوا يطوفون بها على المسلمين الذين كانوا يسفهون أحلامهم ، ويخطئون آراءهم ، وهم فرحون مستبشرون ، يقولون بلهجة الظافر المنتصر : ها هو ذا الأزهر يوافقنا ويخالفكم ، فليس عيسى بحي ولا هو مرفوع ، ولا هو نازل كما تزعمون فأين تذهبون ؟! (١)

تحققنا هذا ولمسناه تارة بسماع صحيح الخبر، وأخرى بمشاهدة البصر ، وقلنا لفضيلة صاحب الفتوى ما سمعناه وشاهدناه ، وأخبرناه بما حصل وما يحصل عنه من مضـــار . فكان جوابه أن قال . أنا أبديت رأيي ولا يضيرني أن أوافق القاديانية أو غيرهم ، وهـــذا خطأ من وجوه . أحدها أن ابداء الرأى إنما يكون حيث لا يوجد

---

(١) ونشرت جريدة البشرى القاديانية التي تصدر في بيروت في عدديها ٥ و ٦ أن الأزهر يعترف بوفاة المسيح الناصرى ؟!

نص أما اذا وجد النص فلا رأي ولا اجتهاد ، بل يجب حينئذ الاتباع والانقياد ، هذا هو المقرر في علم الأصول ، ثانيها أنه لو فرض جواز ابداء الرأى في هذا الموضوع — وهو لايجوز لورود النص القاطع الحاسم — فليس كل رأي يصح أن يبدى ويقال ، ولا كل مايصح أن يقال اليوم يصح أن يقال غداً فقد تقتضى المصلحة العامة في بعض الأحيان،دفن بعض الآراء،وطمرها في أرض الخمول والنسيان ، لظروف جدت فأوجبت ذلك، وفضيلة صاحب الفتوى ليس ساكناً في عالم المريخ حتى يجهل مايجرى في هذا العالم ولا يدرى أنه نشأ في بقعة من الأرض تسمى الهند طائفة تعرف بالقاديانية دأبت منذ نشأتها على افساد عقيدة المسلمين والتفريق بينهم ، وأن محور كلامها دائر حول موت عيسى وعدم رفعه ليصح لها ماتزعمه لزعيمها وأنها بعثت مبشريها الى تركيا وألبانيا والشام ومصر وامريكا وانجلترا وغيرها وأن ضررها على العقيدة أشد من ضرر اليهود والنصارى لأنها تزعم الاسلام وتحتج بالقرآن وأنها أغوت جماعة في مصر والشام وغيرها فزلت قدمهم باعتناق دينها ، نعم ليس فضيلة صاحب الفتوى ساكنا في عالم المريخ حتى يجهل مايجرى في هذا العالم ولا يدرى هذه الأشياء ، اذن فلم يكن عليه من باس لو أنه احتفظ برأيه الباطل وترك اظهاره حتى لا يساعد هؤلاء المارقين ، بل كان يجب عليه أن يتقرب الى الله بمخالفتهم واظهار موافقة المسلمين فيما يعتقدون فان لم يفعل ذلك تقرباً فليفعله مجاملة لأولئك الأبطال العلماء الذين وقفوا أنفسهم

للدفاع عن الدين من هؤلاء المعتدين ، وإظهاراً لاتحاد كلمة المسلمين حتى لا يجد المعتدي خللا ينفذ منه ، والمثل العامي يقول : أنا وأخي على ابن عمي وأنا وابن عمي على الغريب ، ولا قرابة أقرب من اتحاد الدين ، كما أنه لا غربة أبعد من اختلاف الدين ، ألا ترى أن الشارع فرق بين الرجل وابنه في الميراث لاختلاف دينهما فالمسلمون اخوان وأقارب وإن تباعدت أوطانهم يدفع بعضهم عن بعض ويؤيد بعضهم بعضاً قد يختلفون فيما بينهم — والاختلاف سنة الله في الكون — لكن إذا كان الاختلاف بينهم وبين غريب عنهم خارج عن دينهم اجتمعوا وتوافقوا وتعاونوا وتآزروا وعمل كل منهم على نصرة الدين بحسب اجتهاده ومقدرته ، العالم بعلمه والغني بماله والصانع بعمله وهكذا بحيث لو قصر واحد منهم كان ضرر تقصيره عائداً على الجميع يفت في أعضادهم ويوهن من قوتهم كما جرت سنة الله بذلك فربك قل لي كيف يكون موقف إخواننا علماء الهند الذين أثبتوا نزول عيسى عليه السلام بسبعين حديثاً عن النبي ﷺ فيها الصحيح والحسن والضعيف المنجبر ، وأثبتوا حياته ورفعه بأحاديث وآثار عن الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين حين يبلغهم عن طريق القاديانية قبل غيرهم أن الأزهر يخالفهم ويقول ليس في هذه المسائل دليل ولا شبه دليل ؟! بربك قل لي ماذا يكون موقفهم حين يبلغهم هذا وماذا يقولون ؟! أنا أعتقد أنهم سيترددون بين احتمالين كلاهما شر ، وأحلاهما مر ، فاما أن يقولوا إن الأزهر خال من العلماء لأن معهداً يجهل رجاله أو يتجاهلون ما في الكتب الستة وكتب

التفسير والحديث المطبوعة المتداولة مقفر من العلم ، وإما أن يقولوا إن الأزهر ليس عند أهله الحماسة الدينية اللازمة لكل مؤمن خصوصاً وقت الأزمة المقتضي لتنفير الجهود وبذل المجهود ، وهو ما يجعلونه عذراً في ذلك فتسقط منزلة الأزهر من أعينهم ويذهب تعظيمه من قلوبهم ، وينشدون على علمائه قول الشاعر :

وإخواناً حسبتهمو دروعاً فكانوها ولكن للأعادي

ثالث الوجوه من خطأ الأستاذ في إبداء رأيه أنه مما ينبغي للمفتي أن يفعله — فيما ذكره العلماء في قواعد الافتاء وأصوله — أن ينظر في الحادثة التي رفعت إليه من ناحيتها العامة وهي ناحية الظروف التي لابستها وأحاطت بها وينظر إلى حال المستفتي وظروفه وماذا عسى أن يكون قاصداً بسؤاله فقد يكون الغرض من رفع الحادثة إلى المفتي استعمال الجواب عنها في إحداث فتنة أو إثارتها أو الاستعانة به على ضلال ومعصية أو غير ذلك مما يختلف باختلاف الأغراض والميول فينبغي أن يكون المفتي يقظاً نافذ البصيرة يصدر الجواب مطابقاً للسؤال من جميع نواحيه كما كان العلماء السابقون يفعلون .

قال ابن أبي شيبة في المصنف حدثنا يزيد بن هرون أنبأنا أبو مالك الأشجعي عن سعد بن عبيدة قال جاء رجل الى ابن عباس فقال ألمن قتل مؤمناً توبة ؟ قال لا ، الى النار فلما ذهب قال له جلساؤه ما هكذا كنت تفتينا ! قد كنت تفتينا أن لمن قتل مؤمناً توبة مقبولة فما

بال هذا اليوم؟ قال إني أحسبه رجلا مغضباً يريد أن يقتل مؤمنا قال فبعثوا في أثره فوجدوه كذلك . ووافع عبد الرحمن بن الحكم الأموي ملك الأندلس جارية له في نهار رمضان فاستفتى الامام يحيى ابن يحيى تلميذ الامام مالك فأفتاه بصوم شهرين متتابعين، فلما خرج من عنده سأله بعض العلماء لم خالفت مذهب الامام مالك وهو يقضي بالتخيير بين الصوم والاطعام والعتق فقال الامام يحيى لو فتحنا له هذا الباب سهل عليه أن يطأ كل يوم ويعتق فحملناه على أصعب الأمور لئلا يعود ، قال القرافي ، وهو الأوفق بكون مشروعية الكفارات للزجر اه والفتاوى من هذا الباب كثيرة وإنما ذكرنا هاتين الحادثتين لتوضيح المسألة بالمثال(١) وفضيلة الاستاذ — وان لم يكن عنده نورانية ابن عباس ولا نفاذ بصيرة يحيى الأندلسي فعنده في ذلك السؤال قرائن تبصره وتنور له بتهديه فرجل منهي في جيش محارب معروض على الموت كل صباح وكل مساء أحوج الناس الى معرفة التوبة وأحكامها وكيفية التخلص من المظالم والحقوق التي عليه لله وللناس ونحو هذا مما هو في أشد الحاجة اليه لمناسبة

---

(١) ولقد ندم أنس بن مالك أشد الندم على أن روى حديثا للحجاج لأنه اتخذه حجة لما كان عليه من الظلم والقسوة روى تمام الرازي الحافظ في مسند المقلين من الأمراء والسلاطين من طريق يوسف بن عطية عن ثابت عن أنس قال حدثت الحجاج بحديث العرنيين فلما كانت الجمعة قام يخطب فقال تزعمون أني شديد العقوبة وهذا أنس حدثني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قطع ايدي رجال وارجلهم وسمل اعينهم قال أنس فوددت اني مت قبل أن أحدثه

الحال التي هو فيها ـ ماله والسؤال عن عيسى أحي هو أم ميت؟ أنازل هو أم غير نازل ؟ ماله ولهذا ؟! أأتقن العقائد كلها ولم يبق عليه إلا أن يحقق هذه العقيدة ؟ ! أعلم كل ما يجب أن يعلمه من مسائل الدين الأولية ؟ أأحكم الصلاة والصيام علما وتفهما ؟ لو أن فضيلة الأستاذ تأني وأجال هذه الاسئلة في خاطره لأدرك السر الباعث على توجيه الاستفتاء . وأعطاه حينئذ ما يستحق من بحث واعتناء . لكن تعجل ولم يدر أن وراء الأكمة ما وراءها . فوقع في رزية تحمل هو وحده اعباءها .

فصل : وقد عاجلنا تلك الفتوى الخاطئة بردود ثلاثة نشرت في مجلة الاسلام . حازت ـ بحمد الله ـ رضاء الخاص والعام ، وكانت على كبد العلماء برداً وسلاما . بل أعجب بها المردود عليه نفسه وصرح لي أنها دلت على علم واطلاع . فإن من أجلها أني شيخ مسن ، بحيث أنه لما رآني استغرب لكوني لا يتناسب مع تلك الردود غير أنه ذكر أني في الردين الثاني والثالث عدلت عن جادة الصواب . وانتحيت ناحية السخرية والسباب . فقلت هذا شيء ما أردته ولاقصدته . وإنما هي قسوة اقتضاها بعدكم الت عن الحق ، مع اعترافي بذكائك ونبلك ، وقد ذكر النووي في المجموع انه يبالغ في تضعيف الأقوال الضعيفة وتقبيحها تحذيرا من الاغترار بها . ولا يقصد الطعن في أصحابها ، قلت ومع هذا فأنا متنازل عما تراه فضيلتك شتما وغضا من قدرك . ومتمسك في

الوقت نفسه بتخطئـة فضيلتك قال أنت حر في رأيك وأنا أرحب بالنقد العلمي الخالي من الغمز واللمز قلت كلنـا ذلك الرجل وأنا لا أحب أن اشتم عالما خصوصاً من كان مثل فضيلتك له شخصيته ومكانته . ثم رأيت أن اكشف من تلك الفتوى عوارها. وأمحو عن علماء الأزهر عارها . وأبين للعالم الاسـلامي أن الأزهر لايزال — كما عهدوه — موئل الدين المتين . وحصنه الحصين وأنه بالعلم والفضل معمور ، وأن الشذوذ فيه قليل مغمور . فالفت هذه الرسالة واختطفت من بين أنياب العوائق هذه المجالة، وأعددتها على ضعف في الاستعداد . وقلة من المواد . وأجهدت نفسى في تنسيقها رغم تراكم الأهوال . وتفاقم الأحوال . وتوالي البلبال . وسميتهـا

اقامة البرهان . على نزول عيسي في آخر الزمان . أو :

ابطال ماقيل من الخيالات والأوهام في حديث نزول عيسي عليه السلام

والله أسأل . ان يجعلها عملا مقبولا مبرورا . وأن يجعل سعينا لديه مشكورا . وأن يدرج اسمنا في خدام سنة نبيه الأمين . وأن يتحفنا وجميع أهلنا وأحبابنا بشفاعته يوم الدين . انه الجواد الكريم والرؤوف الرحيم

باب اثبات نزول عيسى عليه السلام

اعلم أنه قد تواتر عن النبي ﷺ تواتراً لا خلاف فيه ولا نزاع أنه أخبر بنزول عيسي عليه السلام في آخر الزمان ، حاكماً بهذه الشريعة المحمدية فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويقتل الدجال ولا يقبل إلا الاسلام ويمكث في الأرض ماشاءالله أن يمكث ثم يموت فيصلي عليه المسلمون ويدفنونه ، ونحن نورد بحول الله في هذا الباب ما يثبت ذلك من جهة الصناعة الحديثية فنذكر طرق الاحاديث ونتكلم على ما فيها من صحة وحسن وضعف وبعد الفراغ من استيعابها حسب اجتهادنا وعلمنا ، نتبعها بسرد أقوال العلماء المصرحة بالتواتر وبوجوب اعتقاد مضمونه ، حتى يظهر الحق واضحاً لا غبار عليه ، ولا اشتباه فيه ، والله يوفق من شاء هدايته لاتباعه .

فصل : ورد نزول عيسي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من حديث أبي هريرة وحذيفة بن أسيد والنواس بن سمعان وعبد الله بن عمرو وجابر بن عبد الله ومجمع بن جارية وأبي أمامة وعثمان بن أبي العاص وواثلة بن الاسقع وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وعبد الله بن مغفل وعائشة وسمرة بن جندب وأنس وأبي سعيد الخدري وعمار بن ياسر وعمران بن حصين وأم الفضل وأم سلمة وابن عباس وأوس بن أوس وثوبان وعبدالرحمن

ابن سمرة ونافع بن كيسان الثقفي وكيسان بن عبد الله بن طارق ونافع بن عتبة وأبي برزة وعمرو بن عوف وبعض الصحابة وأبي الدرداء ومن مرسل جبير بن نفير الحضرمي والحسن وعروة بن رويم التابعين ، هذا غير الموقوفات والمقطوعات وهي في هذا الباب لها حكم الرفع كما تقرر في علوم الحديث .

فصل : أما أبو هريرة فوردت عنه أحاديث كثيرة بلغت حد الاستفاضة والشهرة ونحن نذكرها بحول الله : الحديث الأول قال البخاري في صحيحه باب نزول عيسى بن مريم عليهما السلام حدثنا اسحاق أخبرنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا أبي عن صالح عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها ثم يقول أبو هريرة واقرأوا إن شئتم وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً . وكذا رواه مسلم عن الحسن الحلواني وعبد بن حميد كلاهما عن يعقوب به ورواه البخاري ومسلم أيضاً من طريق سفيان بن عيينة عن ابن شهاب الزهري به ورويناه أيضاً من طريق الليث بن سعد عن الزهري به ورواه مسلم من طريق يونس عن الزهري به ورواه ابن مردويه في تفسيره من طريق محمد

ابن أبي حفصة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً يقتل الدجال ويقتل الخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية ويفيض المال وتكون السجدة واحدة لله رب العالمين قال ابو هريرة اقرؤا ان شئتم وإن من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته موت عيسى ابن مريم ثم يعيدها ابو هريرة ثلاث مرات . ورواه الترمذي وابن ماجه وغيرهما ورواه ابن أبي شيبة أيضاً ولفظه . لا تقوم الساعة حتى ينزل عيسى بن مريم حكماً مقسطاً إماماً عادلاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويفيض المال حتى لا يقبله أحد . ورواه ابن سعد في الطبقات ولفظه . ينزل عيسى ابن مريم قبل يوم القيامة فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويجمع الناس على دين واحد ويضع الجزية . الحديث الثاني : قال البخاري في صحيحه حدثنا ابن بكير ثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب عن نافع مولى أبي قتادة الأنصاري أن أبا هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كيف انتم اذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم . تابعه عقيل والأوزاعي اه ورواه أحمد عن عبد الرزاق عن معمر وعن عثمان ابن عمر عن ابن أبي ذئب كلاهما عن الزهري به . ورواه مسلم من طريق يونس عن الزهري به ورواه أيضاً من طريق ابن أخي الزهري وابن أبي ذئب كلاهما عن الزهري أخبرني نافع مولى أبي قتادة عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال كيف أنتم اذا نزل فيكم ابن مريم فأمكم منكم وقال الوليد بن مسلم فقلت

لابن ابي ذئب ان الأوزاعي حدثنا عن الزهري عن نافع عن أبي هريرة . وامامكم منكم قال ابن أبي ذئب تدرى ما امكم منكم ؟ قلت تخبرني قال فامكم بكتاب ربكم تبارك وتعالي وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم .

الحديث الثالث . قال مسلم في صحيحه حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا ليث عن سعيد بن أبي سعيد عن عطاء بن ميناء عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والله لينزلن ابن مريم حكما عادلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية ولتتركن القلاص فلا يسعى عليها ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد وليدعون الى المال فلا يقبله أحد ورواه أحمد عن حجاج وعن هاشم كلاهما عن الليث بن سعد به .

ورواه ابن حبان في صحيحه قال اخبرنا عبدالله بن محمد الازدى ثنا اسحق بن ابراهيم انا عمرو بن محمد العنقزى ثنا ليث بن سعد عن المقبرى عن عطاء بن ميناء عن أبي هريرة به .

الحديث الرابع — قال الامام احمد حدثنا روح ثنا محمد بن أبي حفصة عن الزهرى عن حنظلة بن علي الأسلمي عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليهلن عيسي بن مريم بفج الروحاء بالحج أو العمرة أو ليثنينهما جميعا . وكذا رواه مسلم من طريق سفيان بن عيينة والليث بن سعد ويونس بن يزيد كلهم عن الزهري به . ورواه ابن حبان في صحيحه من طريق عبيد الله بن عمر عن الزهرى به

ورواه احمد أيضا من طريق سفيان بن حسين عن الزهري عن حنظلة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينزل عيسى بن مريم فيقتل الخنزير ويمحو الصليب وتجمع له الصلاة ويعطى المال حتى لا يقبل ويضع الخراج وينزل الروحاء فيحج منها أو يعتمر أو يجمعهما قال وتلا أبو هريرة وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته الآية فزعم حنظلة أن أبا هريرة قال يؤمن به قبل موت عيسى فلا أدري هذا كله حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو شيء قاله أبو هريرة . وكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن أبي موسى محمد بن المثنى عن يزيد بن هرون عن سفيان ابن حسين عن الزهري به

الحديث الخامس قال احمد حدثنا عفان ثنا همام أنبأنا قتادة عن عبد الرحمن بن آدم عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال الانبياء اخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد واني أولى الناس بعيسى بن مريم لأنه لم يكن بيني وبينه نبي وانه نازل فاذا رأيتموه فاعرفوه رجل مربوع الى الحمرة والبياض عليه ثوبان ممصران كأن رأسه يقطر وان لم يصبه بلل فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويدعو الناس الى الاسلام ويهلك الله في زمانه الملل كلها الا الاسلام ويهلك في زمانه المسيح الدجال ثم تقع الأمنة على الأرض حتى ترتع الأسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم فيمكث أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه وهذا اسناد صحيح كما قال الحافظ

ابن حجر في فتح الباري ورواه أحمد أيضاً عن يحيي عن ابن أبي عروبة عن قتادة به ورواه أبو داود عن هدبة بن خالد عن همام ابن يحيي عن قتادة به نحوه ورواه ابن جرير عن بشر بن معاذ عن يزيد بن هرون عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن عبد الرحمن ابن آدم مولى أم برثن صاحب السقاية عن أبي هريرة به نحوه ورواه الحاكم من طريق عفان بن مسلم عن همام عن قتادة به نحوه وصححه وسلمه الذهبي ورواه ابن حبان في صحيحه من طريق معاذ ابن هشام عن أبيه عن قتادة عن الرحمن به نحوه ورواه أيضاً من طريق هدبة بن خالد عن همام عن قتادة عن الرحمن به بلفظ أحمد.

الحديث السادس: أخرج الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا ينزل الدجال المدينة ولكنه بين الخندق وعلى كل نقب منها ملائكة يحرسونها فأول من يتبعه النساء فيؤذينه فيرجع غضبان حتى ينزل الخندق فعند ذلك ينزل عيسى بن مريم. قال الحافظ الهيثمي رجاله رجال الصحيح غير عقبة بن مكرم بن عقبة الضبي وهو ثقة. قلت وقوله فعند ذلك ينزل عيسي أي عند نزول الدجال الخندق مع توجهه لحصار المسلمين وشروعه فيه كما جاء في الروايات الاخرى والأحاديث يفسر بعضها بعضاً.

الحديث السابع: أخرج الحاكم وصححه (١) عن أبي هريرة

---

(١) وسلمه الذهبي.

قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليهبطن ابن مريم حكماً عادلاً وإماماً مقسطاً وليسلكن فجاً حاجاً أو معتمراً وليأتين قبري حتى يسلم علي ولأردن عليه ، يقول أبو هريرة أي بني أخي إذا رأيتموه فقولوا أبو هريرة يقرئك السلام .

الحديث الثامن : أخرج أحمد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال إني لأرجو إن طال بي عمر أن ألقى عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم فان عجل بي موت فمن لقيه منكم فليقرئه مني السلام . قال الحافظ الهيثمي رجال إسناده رجال الصحيح .

الحديث التاسع : أخرج أحمد أيضاً عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك المسيح عيسى ابن مريم أن ينزل حكماً مقسطاً وإماماً عدلاً فيقتل الخنزير ويكسر الصليب وتكون الدعوة واحدة فاقرؤه أو اقرئوه السلام من رسول الله . وأحدثه فيصدقني فلما حضرته الوفاة قال اقرئوه منه السلام . قال الحافظ الهيثمي في سنده كثير بن زيد وثقه أحمد وجماعة وضعفه النسائي وغيره وبقية رجاله ثقات .

الحديث العاشر : أخرج الطبراني في الأوسط والصغير قال حدثنا عيسى بن محمد العبدلاني البغدادي ثنا محمد بن عقبة السدوسي ثنا محمد بن عثمان بن سيار القرشي ثنا كعب أبو عبد الله - هو البصري - عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألا إن

عيسى بن مريم ليس بيني وبينه نبي ولا رسول ألا إنه خليفتي في أمتي من بعدي ألا إنه يقتل الدجال ويكسر الصليب ويضع الجزية وتضع الحرب أوزارها إلا من أدركه منكم فليقرأ عليه السلام . قال الحافظ الهيثمي في سنده محمد بن عقبة السدوسي وثقه ابن حبان وضعفه أبو حاتم اه قلت ورواه الخطيب الحافظ في التاريخ فقال أخبرنا محمد بن عبد الله بن شهريار الأصبهاني أخبرنا سليمان بن أحمد الطبراني به .

الحديث الحادي عشر : أخرج أحمد عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل ابن مريم إماماً عادلا وحكما مقسطاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويرجع السلم وتتخذ السيوف مناجل وتذهب حمة كل ذي حمة وتنزل السماء رزقها وتخرج الأرض بركتها حتى يلعب الصبي بالثعبان ولا يضره ويراعي الغنم الذئب ولا يضرها ، ويراعي الأسد البقر ولا يضرها .

الحديث الثاني عشر : قال الحافظ أبو سعيد محمد بن علي النقاش في جزء له في فوائد العراقيين . أخبرنا أبو اسحق ابراهيم ابن علي المجيمي حدثنا جعفر الصائغ ثنا عفان بن مسلم ثنا سليم ابن حيان حدثنا سعيد بن ميناء عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال طوبى لعيش بعد المسيح - يعني بعد نزوله - يؤذن للسماء في القطر ويؤذن للارض في النبات حتى لو بذرت حبك على الصفا لنبت وحتى يمر الرجل على الأسد فلا يضره ويطأ على الحية فلا تضره ولا تشاح ولا تحاسد ولا تباغض ، قال أبو

اسحق سمعه من جعفر الصائغ أبو داود السجستانى وعبد الله بن أحمد بن حنبل وأنا معهما اه قلت قوله ثنا سليم بن حيان . كذا قرأته في نسختنا من الجزء المذكور ولم أدر من هو؟ لكني قرأت في تاريخ الخطيب في ترجمة جعفر الصائغ حديثا آخر بهذا الاسناد جاء فيه . ثنا ابراهيم بن على الهجيمي ثنا جعفر الصائغ ثنا سعيد ابن سليمان ثنا يحيي بن سليم الطائفى قال الخطيب كذا في حديث الهجيمي . وفي حديث ابن خزيمه محمد بن مسلم وهو الصواب اه فظهر لى من هذا أن الصواب في الاسناد الذى أوردته هو يحيي ابن سليم . وأن الناسخ كتبه سليم بن حيان خطأ لقرب الاشتباه بينهما ومثل هذا يقع من الناسخين لعدم علمهم بالأسانيد والرجال ورجال هذا الاسناد ثقات وبعضهم من رجال الشيخين . والحديث رواه أبو نعيم أيضا .

الحديث الثالث عشر : أخرج الطبرانى في الأوسط عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ينزل عيسى بن مريم فيمكث في الناس أربعين سنة قال الحافظ الهيثمى رجاله ثقات. وروي هشام بن عروة عن صالح مولى أبى هريرة عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حديث نزول عيسى قال فيمكث في الأرض أربعين سنة ذكره الحافظ ابن كثير في تاريخه

الحديث الرابع عشر : أخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق عن أبى هريرة يرويه قال لا تزال عصابة من أمتى على الحق ظاهرين على الناس لا يبالون من خالفهم حتي ينزل عيسى بن مريم قال

الأوزاعي فحدثت قتادة بهذا الحديث فقال لا أعلم أولئك الا أهل الشام . قلت هذا رأى قتادة في المراد بالعصابة في الحديث وهو أحد الاقوال في المسألة والقول الثاني أن المراد بهم العرب حكاه القاضي عياض في الاكمال عن ابن المديني . الثالث أن المراد بهم أهل الحدة والشوكة وهم أهل الجهاد حكاه ابن الأثير في النهاية الرابع أن المراد بهم الغزاة المرابطون بثغور الشام قاله النور بشتي الخامس . أنهم الأمة كلها وهو مايستفاد من كلام جماعة من العلماء قال البيضاوى والمراد أمة الاجابة . السادس أن المراد بهم الصوفية حكاه المناوى في فيض القدير وحكاه غيره أيضا .السابع أنهم أهل السنة والجماعة قاله القاضي عياض في الاكمال الثامن أنهم أهل الحديث نقله الترمذى عن البخارى عن ابن المديني وهو قول أحمد والبخارى ايضا . الثامن أنهم المجتهدون في الأحكام الشرعية بناء على وجوب الاجتهاد في كل عصر وعدم خلو الأرض من مجتهد وهو قول جماعة التاسع . أن هذه العصابة عامة مفرقة بين انواع المؤمنين فمنهم علماء محدثون ومنهم فقهاء ومنهم زهاد ومنهم مجاهدون مقاتلون ومنهم قائمون بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الي غير ذلك من أنواع الخير ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين في بلد واحد أو قطر واحد . وهذا قاله النووى في شرح مسلم احتمالا هذه جملة الأقوال في الحديث ذكرناها استطرادا تتميما للفائدة ومن أراد الوقوف على دليل كل منها وتمحيصها وبيان المعتمد منها فليرجع الى رسالة أخينا وأستاذنا الحافظ السيد احمد في الكلام على هذا الحديث

وانظر الأجوبة الصادقة عن إشكال حديث الطائفة وهي مفيدة
نفيسة. الحديث الخامس عشر: أخرج الديلمي في مسند الفردوس
عن أبي هريرة يرفعه ينزل عيسى بن مريم على ثمانمائة رجل
وأربعمائة امرأة أخيار من على الأرض وهو حديث ضعيف

الحديث السادس عشر: أخرج نعيم بن حماد في كتاب الفتن
عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذكر
الهند يغزو الهند منكم جيش يفتح الله عليهم حتى يأتوا بملوكهم
مغللين بالسلاسل يغفر الله ذنوبهم فينصرفون حين ينصرفون فيجدون
ابن مريم بالشام. الحديث السابع عشر: قال مسلم في صحيحه حدثني
زهير بن حرب ثنا يعلى بن منصور ثنا سليمان بن بلال ثنا سهيل عن أبيه
عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لا تقوم الساعة
حتى تنزل الروم بالأعماق أو بدابق فيخرج إليهم جيش من المدينة
من خيار أهل الأرض يومئذ فإذا تصافوا قالت الروم خلوا بيننا
وبين الذين سبوا منا نقاتلهم فيقول المسلمون لا والله لا نخلي بينكم
وبين إخواننا فيقاتلونهم فيهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبدا ويقتل
ثلث هم أفضل الشهداء عند الله ويفتتح الثلث لا يفتنون أبدا فيفتتحون
قسطنطينية فبينما هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون
إذ صاح فيهم الشيطان إن المسيح قد خلفكم في أهليكم فيخرجون
وذلك باطل فإذا جاءوا الشام خرج فبينما هم يعدون للقتال يسوون
الصفوف إذ أقيمت الصلاة فينزل عيسى بن مريم فيؤمهم (1) فإذا رآه

---

(1) أي يقدم

عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء فلو تركه لذاب حتى يهلك ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه في حربته

الحديث الثامن عشر . أخرج أبو داود الطيالسي في مسنده قال حدثنا موسى بن مطير عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يسلط على قتل الدجال الا عيسى ابن مريم

الحديث التاسع عشر : أخرج أبو نعيم في الحلية باسناد ضعيف عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لعمه العباس ياعم النبي ان الله تعالى ابتدأ الاسلام بي وسيختمه بغلام من ولدك وهو الذي يتقدم عيسى بن مريم .

الحديث العشرون . أخرج البزار عن أبي هريرة قال سمعت أبا القاسم الصادق المصدوق صلى الله عليه وآله وسلم يقول يخرج الأعور الدجال مسيح الضلالة قبل المشرق في زمن اختلاف من الناس وفرقة فيبلغ ماشاء الله أن يبلغ من الأرض في أربعين يوما الله أعلم مامقدارها فيلقى المؤمنون شدة شديدة ثم ينزل عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم من السماء فيؤم الناس فاذا رفع رأسه من ركعته قال سمع الله لمن حمده قتل الله المسيح الدجال وظهر المسلمون فأحلف أن رسول الله أبا القاسم الصادق المصدوق صلى الله عليه وآله وسلم قال انه لحق وأما انه قريب فكل ما هو آت قريب قال الحافظ الهيثمي رجاله رجال الصحيح غير علي بن المنذر وهو ثقة

ورواه ابن حبان في صحيحه من طريق آخر وبلفظ آخر فقال أخبرنا أبو يعلى ثنا أبو خيثمة ثنا يونس بن محمد ثنا صالح بن عمر ثنا عاصم بن كليب عن أبيه قال سمعت أبا هريرة يقول أحدثكم ماسمعت من رسول الله الصادق المصدوق حدثنا رسول الله أبو القاسم الصادق المصدوق صلى الله عليه وآله وسلم أن الأعور الدجال مسيح الضلالة يخرج من قبل المشرق في زمان اختلاف من الناس وفرقة فيبلغ مايشاء الله من الأرض في أربعين يوما الله أعلم ما مقدارها وينزل الله عيسى بن مريم فيؤمهم فاذا رفع رأسه من الركعة قال سمع الله لمن حمده قتل الله الدجال وأظهر المؤمنين. قال أبو حاتم. قوله في هذا الخبر فيؤمهم أراد به فيأمرهم بالامامة اذ العرب تنسب الفعل الى الآمر كما تنسبه الى الفاعل كما ذكرنا في غير موضع من كتبنا اه قلت تأول ابن حبان هذا التأويل ليجمع بين هذا الحديث والأحاديث الأخرى التي تصرح بان عيسي عليه السلام يأتم بامام المسلمين عقب نزوله من السماء وهو تأويل حسن تؤيده قواعد اللغة العربية لكن بقي في الحديث مايحتاج الى جواب ولم يتعرض له ابن حبان ذلك أن هذا الحديث يفيد أن قتل الدجال يحدث وعيسى بن مريم في صلاة مع أن الأحاديث الأخرى التي ذكرت أن عيسى يقتل الدجال بباب لد أو قريب منه لم تذكر أن ذلك يكون أثناء الصلاة فكيف الجمع بين هذه وذاك ؟ والجواب على ذلك سهل بتسهيل الله غير أنه يتوقف على مقدمة وهي أن الذي دلت عليه الأحاديث أن عيسى عليه السلام يصلي أول صلاة بعد نزوله

من السماء وهى صلاة الصبح مؤتما بامام المسلمين اظهاراً لكرامة هذه الأمة وفضلها ثم بعد ذلك يتقلد عيسى مقاليد الأمور ويصير خليفة المسلمين يحكم فيهم بشريعة نبيهم سيدنا محمدصلى الله عليه وآله وسلم وتجمع له الصلاة أى يصير هو الامام فيها مع قيامه بأعباء الامامة العظمى ومن هنا تعلم أن قوله فى هذا الحديث فيؤمهم هو على ظاهره لأن هذه الصلاة ليست صلاة الصبح التى يكون عيسى مؤتما فيها بل هي صلاة غيرها فهو امام فيها ولا شك ان مما شرعه الله لهذه الأمة فى جهادها مع العدو صلاة الخوف وهي ثابتة بالكتاب والسنة ولها سبع عشرة صفة ذكرها الحافظ العراقى فى شرح الترمذى لكن أصولها ست صفات كما قال ابن القيم فى الهدى واعتمده الحافظ فى الفتح اذا تقرر هذا فالحديث محمول على أن عيسي عليه السلام يؤم المسلمين في صلاة خوف وهم يقاتلون الدجال ومن معه فاذا رفع عيسى رأسه من الركوع أمكنته الفرصة من العدو فيحمل على الدجال فيقتله ومباشرة الأعمال الواجبة الضرورية لا تمنع منه الصلاة كما هو معروف وهذا معني قوله وينزل الله عيسي بن مريم فيؤمهم فاذا رفع رأسه من الركوع قال سمع الله لمن حمده قتل الله المسيح الدجال اى علي يد عيسي واسناد القتل الي الله من باب قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمي ، فبهذا التأويل يتضح المعنى ويكون الحديث متفقا مع غيره من الأحاديث متمشيا مع قواعد الشريعة الغراء

الحديث الحادى والعشرون : أخرج ابو يعلى عن أبي هريرة

سمعت رسول الله صلي الله عليه وآله وسلم يقول والذى نفس أبي القاسم بيده لينزلن عيسى بن مريم إماما مقسطا وحكما عدلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليصلحن ذات البين وليذهبن الشحناء وليعرضن المال فلا يقبله أحد ثم لئن قام على قبرى فقال يامحمد لأجبته قال الحافظ الهيثمي رجاله رجال الصحيح اه

الحديث الثاني والعشرون : أخرج ابو الشيخ ابن حيان فى كتاب الفتن عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينزل عيسي بن مريم فيقتل الدجال ويمكث أربعين عاما يعمل فيهم بكتاب الله تعالى وسنتي ويموت ويستخلفون بامر عيسى رجلا من بني تميم يقال له المقعد فاذا مات المقعد لم يات على الناس ثلاث سنين حتى يرفع القرآن من صدور الرجال ومصاحفهم قلت هذه اثنان وعشرون حديثا عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كلها تصرح بنزول عيسى عليه السلام أغلبها صحيح وضعيفها منجبر بصحيحها فيما اتفقت فيه من أصل المعني . فاذا ضمت هذه الأحاديث الى بقية الأحاديث الآتية بحول الله تعالى زادت على ستين حديثا وهو أعلى مايطلب في التواتر

فصل : وأما حديث حذيفة بن أسيد فرواه احمد ومسلم وأصحاب السنن من طريق فرات القزاز عن أبي الطفيل — وهو صحابي — عن حذيفه بن أسيد الغفارى ويكني أباسريحة — بفتح المهملة — قال اطلع النبى صلى الله عليه وآله وسلم علينا ونحن نتذاكر

فقال ماتذاكرون قالوا نذكر الساعة قال انها لن تقوم حتى تروا قبلها
عشر آيات فذكر الدخان والدجال وطلوع الشمس من مغربها ونزول
عيسي بن مريم صلى الله عليه وسلم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف
خسوف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر
ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الي محشرهم ورواه مسلم أيضاً
من طريق عبد العزيز بن رفيع عن أبي الطفيل عن أبي سريحة
حذيفة بن أسيد به موقوفا وهو لا يضر كما لايخفى (١)

فصل : وأما حديث النواس بن سمعان فرواه احمد
ومسلم واصحاب السنن الأربعة من طريق عبد الرحمن بن يزيد بن
جابر حدثني يحيي بن جابر الطائي قاضي حمص حدثني عبد الرحمن
ابن جبير عن أبيه جبير بن نفير الحضرمي أنه سمع النواس بن سمعان
الكلابي يقول ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الدجال
ذات غداة فخفض فيه ورفع حتي ظنناه في طائفة النخل فلما رحنا

---

(١) ورواه ابن حبان في صحيحه من طريق سفيان بن عيينة عن فرات
القزاز أنه سمع ابا الطفيل يحدث عن ابي سريحه حذيفة بن أسيد قال أشرف
علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونحن نتذاكر فقال ما كنتم تذاكرون
قلنا كنا نتذاكر الساعة فقال انها لاتقوم حتى تروا قبلها عشر آيات
الدجال والدخان وعيسى بن مريم ويأجوج ومأجوج والدابة وطلوع الشمس
من مغربها وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة
العرب وآخر ذلك نار تخرج من قعر عدن او عدن او اليمن تطرد الناس
الي المحشر

اليه عرف ذلك فينا فقال ماشانكم قلنا يارسول الله ذكرت الدجال
غداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل فقال غير الدجال
أخوفني عليكم ان يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم وإن يخرج ولست
فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم انه شاب قطط
عينه طافئة كأني شبهه بعبد العزى بن قطن فمن أدركه منكم فليقرأ
عليه فواتح سورة الكهف انه خارج خلة بين الشام والعراق فعاث
يمينا وعاث شمالا ياعباد الله فاثبتوا قلنا يارسول الله وما لبثه في
الأرض قال أربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة
وسائر أيامه كأيامكم قلنا يارسول الله فذلك اليوم الذى كسنة أتكفينا
فيه صلاة يوم قال لا . اقدروا له قدره قلنا يارسول الله وما اسراعه
في الأرض قال كالغيث استدبرته الريح فيأتي على القوم فيؤمنون
به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت فتروح عليهم
سارحتهم أطول ما كانت ذرى وأسبغه ضروعا وأمده خواصر ثم
يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون
ممحلين ليس بايديهم شيء من أموالهم ويمر بالخربة فيقول لها أخرجي
كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا
فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل
وجهه يضحك فبينما هو كذلك اذ بعث الله المسيح بن مريم فينزل
عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على
أجنحة ملكين اذا طأطأ رأسه قطر واذا رفعه تحدر منه جمان
كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه الا مات ونفسه ينتهي حيث

ينتهي دارفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله ثم يأتي عيسى بن
مريم قوم قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم
بدرجاتهم في الجنة فبينما هو كذلك اذ أوحى الله الى عيسى انى
أخرجت عباداً لي لا يدان لأحد بقتالهم فحرز عبادى الى الطور
ويبعث الله ياجوج وماجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم
على بحيرة طبرية فيشربون مافيها ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه
مرة ماء ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور
لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى
واصحابه فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسي كموت
نفس واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى واصحابه الى الأرض فلا يجدون
في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم فيرغب نبي الله عيسى
وأصحابه الى الله فيرسل الله طيراً كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم
حيث شاء الله ثم يرسل الله مطراً لا يكن منه بيت مدر ولا وبر
فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة ثم يقال للارض أنبتي ثمراتك
وردى بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها
ويبارك في الرسل حتى ان اللقحة من الابل لتكفي الفآم من الناس
واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفي
الفخذ من الناس فبينما هم كذلك اذ بعث الله ريحا طيبة فتاخذهم تحت
آباطهم فتقبض روح كل مومن وكل مسلم ويبقى شرار الناس
يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة

فصل وأما حديث عبد الله بن عمرو فرواه مسلم في صحيحه من طريق معاذ العنبري عن شعبة عن النعمان بن سالم قال سمعت يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي يقول سمعت عبدالله ابن عمرو وجاءه رجل فقال ما هذا الحديث الذي تحدث به تقول ان الساعة تقوم الى كذا وكذا فقال سبحان الله أو لا إله الا الله او كلمة نحوهما لقد هممت ان لا أحدث أحداً شيئاً أبداً انما قلت انكم بعد قليل سترون أمراً عظيماً يحرق البيت ويكون ويكون ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخرج الدجال في امتي فيمكث أربعين لا أدري أربعين يوماً أو أربعين شهراً أو اربعين عاماً فيبعث الله عيسى بن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه ثم يمكث الناس سبع سنين (١) ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله ريحاً باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان الا قبضته حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه قال سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً فيتمثل لهم

---

(١) اعتمد بعضهم ظاهر هذه الرواية فقال ان عيسى يمكث بعد نزوله سبع سنين ولكن الصحيح انه يمكث اربعين سنة كما في أحاديث أخرى صحيحة أما هذا الحديث فيشير الى أن السنين السبع الاولى عقب نزوله تكون احسن مدة بعدها ، وان كانت كل ايامه حسنة بدليل قوله ليس بين اثنين عداوة وليس قوله ثم يرسل الله ريحا الخ مخالفا لما قلنا لأن ثم للترتيب مع التراخي

الشيطان فيقول ألا تستجيبون فيقولون فما تأمرنا فيأمرهم بعبادة الاوثان وهم في ذلك دار رزقهم حسن عيشهم ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتاورفع ليتا قال وأول من يسمعه رجل يلوط حوض ابله قال فيصعق ويصعق الناس ثم يرسل الله أو قال ينزل الله مطراً كأنه الطل أو الظل - نعمان الشاك - فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون ثم يقال يا أيها الناس هلم الي ربكم وقفوهم انهم مسئولون قال ثم يقال أخرجوا بعث النار فيقال من كم؟ فيقال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين قال فذاك يوم يجعل الولدان شيبا وذلك يوم يكشف عن ساق، ورواه مسلم والنسائي في تفسيره عن محمد بن بشار عن غندر عن شعبة عن النعمان بن سالم به ورواه الحاكم من طريق محمد بن جعفر — هو غندر — ثنا شعبة عن النعمان بن سالم به نحوه وقال صحيح على شرط الشيخين — حديث آخر عنه. أخرج الحاكم وابن عساكر عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كيف تهلك أمة أنا أولها وعيسى بن مريم آخرها

فصل وأما حديث جابر بن عبد الله فله طرق : أحدها

قال مسلم في صحيحه حدثنا الوليد بن شجاع وهرون بن عبدالله وحجاج بن الشاعر قالوا ثنا حجاج وهو ابن محمد عن ابن جريج قال اخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين الى يوم القيامة قال فينزل عيسى بن مريم

صلى الله عليه وسلم فيقول أميرهم تعال صل لنا فيقول لا ان بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الامة ورواه ابن حبان في صحيحه قال أخبرنا محمد بن المنذر بن سعيد ثنا يوسف بن سعيد بن مسلم ثنا حجاج عن ابن جريج به وأخرج أبو يعلى عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لاتزال أمتي ظاهرين على الحق حتى ينزل عيسي بن مريم فيقول امامهم تقدم فيقول أنت أحق بعضكم أمراء على بعض أمرا كرم به هذه الامة قال الحافظ الهيثمي في سنده موسى بن عبيدة وهو متروك وأخرج أبو نعيم في اخبار المهدى عن جابر ايضا مرفوعا ينزل عيسي ابن مريم فيقول اميرهم المهدى تعال صل بنا فيقول الا وان بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله لهذه الامة واخرج ابو عمرو الداني في سننه عنه أيضا قال قال رسول الله صلي الله عليه وآله وسلم لاتزال طائفة من أمتي تقاتل على الحق حتى ينزل عيسي بن مريم عند طلوع الفجر ببيت المقدس ينزل على المهدى فيقال تقدم يانبي الله فصل بنا فيقول هذه الامة أمراء بعضهم على بعض ثانيا . أخرج أحمد باسنادين عن جابر قال قال رسول الله صلي الله عليه وآله وسلم يخرج الدجال في خفقة من الدين وادبار من العلم وله أربعون ليلة يسيحها في الارض اليوم منها كالسنة واليوم منها كالشهر واليوم منها كالجمعة ثم سائر أيامه كايامكم هذه وله حمار يركبه وذكر الحديث في صفة الدجال الى أن قال فيفر الناس الى جبل الدخان بالشام فيحاصرهم فيشتد حصارهم ويجهدهم جهداً شديداً ثم ينزل عيسي عليه السلام فينادى

من السحر فيقول يا أيها الناس ما يمنعكم أن تخرجوا الى هذا الكذاب الخبيث فيقولون هذا رجل جني فينطلقون فاذاهم بعيسى عليه السلام فتقام الصلاة فيقال له تقدم ياروح الله فيقول ليتقدم امامكم فيصلي بكم فاذا صلى صلاة الصبح خرج اليه قال فحين يراه الكذاب ينماث كما ينماث الملح في الماء فيمشي اليه فيقتله حتى ان الشجر والحجر ينادي هذا يهودي فلا يترك ممن كان يتبعه احد الا قتله . قال الحافظ الهيثمي رجال أحد الاسنادين رجال الصحيح قلت صححه ابن خزيمة أيضا . ثالثها . أخرج الامام احمد ايضا عن جابر قال ان امرأة من اليهود بالمدينة ولدت غلاما ممسوحة عينه طالعة نابه فأشفق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يكون هو الدجال وذكر حديث ابن صياد وتردد النبي صلى الله عليه وآله وسلم في شأنه وفي آخره فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ائذن لي يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يكن هو فلست صاحبه انما صاحبه عيسي بن مريم والا يكن هو فليس لك أن تقتل رجلا من أهل العهد قال الحافظ الهيثمي رجال اسناده رجال الصحيح . قلت هذا الحديث ونحوه محمول على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم تردد في ابن صياد قبل أن يعلمه الله أن الدجال لا يدخل المدينة ولا مكة كما جاء في أحاديث كثيرة ولا شك أن ابن صياد ولد بالمدينة وأسلم وذهب الي مكة حاجا صحبة أبي سعيد الخدري وغيره من الصحابة وهذه أوصاف لا توجد في الدجال قطعا .

فصل : وأما حديث مجمع بن جارية فاخرجه الامام احمد قال اخبرنا عبد الرزاق اخبرنا معمر عن الزهري عن عبد الله بن عبيدالله بن ثعلبة الانصارى عن عبد الله بن يزيد عن مجمع بن جارية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يقتل ابن مريم المسيح الدجال بباب لد أو إلى جانب لد ورواه أحمد أيضا عن سفيان ومن حديث الليث والأوزاعي ثلاثتهم عن الزهرى عن عبد الله بن عبد الله بن ثعلبة عن عبد الرحمن بن يزيد عن مجمع بن جارية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال يقتل ابن مريم الدجال بباب لد . ورواه الترمذى عن قتيبة عن الليث عن الزهرى به وقال هذا حديث صحيح قال وفى الباب عن عمران ابن حصين ونافع ابن عتبة وأبي برزة وحذيفة بن أسيد وأبي هريرة وكيسان وعثمان بن أبي العاص وجابر وأبي أمامة وابن مسعود وعبد الله ابن عمرو وسمرة بن جندب والنواس بن سمعان وعمرو بن عوف وحذيفة بن اليمان رضى الله عنهم اه كلامه قال الحافظ ابن كثير ومراده برواية هؤلاء مافيه ذكر الدجال وقتل عيسي بن مريم عليه السلام له فاما أحاديث ذكر الدجال فقط فكثيرة جدا وهي أكثر من أن تحصى لانتشارها وكثرة رواتها فى الصحاح والحسان والمسانيد وغير ذلك اه

فصل وأما حديث أبي أمامة فأخرجه ابن ماجه فى سننه قال حدثنا على بن محمد ثنا عبد الرحمن المحاربي عن اسمعيل بن رافع أبي

نافع عن أبي زرعة السيباني يحيي بن ابي عمرو عن ابي أمامة قال خطبنا رسول الله صلي الله عليه وآله وسلم فكان أكثر خطبته حديثاً حدثناه عن الدجال وحذرناه فكان من قوله لم تكن فتنة في الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم عليه السلام أعظم من فتنة الدجال وإن الله لم يبعث نبياً الا حذر أمته الدجال وأنا آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم وهو خارج فيكم لا محالة فان يخرج وأنا بين ظهرانيكم فانا حجيج كل مسلم وان يخرج من بعدى فكل حجيج نفسه وان الله خليفتي على كل مسلم إنه يخرج من خلة بين الشام والعراق فيعيث يمينا ويعيث شمالا ألا ياعباد الله ايها الناس فاثبتوا واني سأصفه لكم صفة لم يصفها اياه نبي قبلي انه يبدأ فيقول أنا نبي فلا نبي بعدى ثم يثني فيقول انا ربكم ولا ترون ربكم حتى تموتوا وانه أعور وان ربكم عز وجل ليس باعور وانه مكتوب بين عينيه كافر يقرأه كل مؤمن كاتب أو غير كاتب وان من فتنته ان معه جنة ونارا فناره جنة وجنته نار وذكر حديثا طويلا في أحوال الدجال وأعماله جاء فيه . فقالت أم شريك بنت أبي العكر يارسول الله فاين العرب يومئذ قال هم قليل وجلهم يومئذ ببيت المقدس وامامهم رجل صالح فبينما امامهم قد تقدم يصلى بهم الصبح اذ نزل عليهم عيسى بن مريم عليه السلام فرجع ذلك الامام يمشي القهقرى ليتقدم عيسى عليه السلام فيضع عيسى يده بين كتفيه ثم يقول تقدم فصل فانها لك أقيمت فيصلى بهم امامهم فاذا انصرف قال عيسى افتحوا الباب فيفتح الباب وو راءه الدجال معه سبعون ألف يهودى

كأنهم ذو سيف محلى وساج فاذا نظر اليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء وينطلق هاربا فيقول عيسى ان لي فيك ضربة لن تسبقني بها فيدركه عند باب اللد الشرقي فيقتله ويهزم الله اليهود فلا يبقي شيء مما خلق الله تعالى يتوارى به يهودي الا أنطق الله ذلك الشيء لا حجر ولا شجر ولا حائط ولا دابة الا الغرقدة فانها من شجرهم لا تنطق الا قال ياعبد الله المسلم هذا يهودي فتعال اقتله. وذكر بقية الحديث فيما يحصل في زمن عيسي عليه السلام من انتشار الأمن والسلام وظهور البركة في الأقوات والأرزاق على نحو ماجاء في الأحاديث الأخرى قال ابن ماجه بعد روايته سمعت أبا الحسن الطنافسي يقول سمعت عبد الرحمن المحاربي يقول ينبغي أن يدفع هذا الحديث الى المؤدب حتى يعلمه الصبيان في الكتاب (١) قال الحافظ ابن كثير هذا الحديث غريب جداً من هذا الوجه ولبعضه شواهد ثم ذكرها قلت بل كله له شواهد فاما قصة الدجال فيشهدها احاديث كثيرة خصوصا حديث النواس بن سمعان في صحيح مسلم واما حديث لا نبي بعدي فمتواتر كما نبهنا عليه في المقدمة ويجب أن تعلم أن تصريح الحفاظ بضعف حديث أو غرابته أو نكارته في الدجال أو نزول عيسى عليه السلام أو غيرهما من

---

(١) ورواه أبوداود في الملاحم من سننه عن عيسي بن محمد عن ضمرة عن يحيي ابن أبي عمرو السيباني عن عمرو بن عبد الله الحضرمي أبي عبد الجبار الشامي عن أبي أمامة به نحوه

من المتواترات انما هو شيء اقتضته الصناعة الحديثية في ذلك الحديث بخصوصة ولا يؤثر ضعفه او نكارته في التواتر شيئا لما تقرر في الأصول أن الخبر المتواتر لا يشترط في رواته العدالة والثقة كما يشترط في الآحاد بل ولا يشترط الاسلام . انظر ارشاد الفحول للشوكاني فاذا وجدت في هذه الرسالة نصا على تضعيف حديث من هذه الأحاديث نخرجه على ماذكرناه وانما نبهنا على هذا مع كونه واضحا مقررا في علم أصول الفقه وأصول الحديث ليلا يجد مغرض متجاهل سبيلا يتوصل بها الي هواه وبالله التوفيق

فصل وأما حديث عثمان بن أبي العاص فاخرجه الامام احمد والطبراني من طريق علي بن زيد عن أبي نضرة قال أتينا عثمان بن أبي العاص في يوم جمعة لنعرض عليه مصحفا لنا على مصحفه فلما حضرت الجمعة أمرنا فاغتسلنا ثم أتينا بطيب فتطيبنا ثم جئنا المسجد فجلسنا فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يكون للمسلمين ثلاثة أمصار مصر بملتقى البحرين ومصر بالحيرة ومصر بالشام فيفزع الناس ثلاث فزعات فيخرج الدجال في اعراض الناس فيهزم من قبل المشرق فاول مصر يردون المصر الذى بملتقى البحرين فيصير أهله ثلاث فرق فرقة تبقى تقول نشامه ننظر ماهو وفرقة تلحق بالأعراب وفرقة تلحق بالمصر الذي يليهم ومع الدجال سبعون ألفا عليهم السيجان واكثر تبعه اليهود والنساء ثم يأتي المصر الذى يليهم فيصير أهله ثلاث فرق فرقة تقول

نشامه ننظرما هو وفرقة تلحق بالأعراب وفرقة تلحق بالمصر الذي يليهم بغربي الشام وينحاز المسلمون الى عقبة أفيق فيبعثون سرحا لهم فيصاب سرحهم فيشتد ذلك عليهم وتصيبهم مجاعة شديدة وجهد شديد حتى أن أحدهم ليحرق وترقوسه فيأكله فبينما هم كذلك اذنادى مناد من السحر يا أيها الناس اتاكم الغوث — ثلاثا — فيقول بعضهم لبعض ان هذا لصوت رجل شبعان وينزل عيسى بن مريم عليه السلام عند صلاة الفجر فيقول له أميرهم يروح الله تقدم فصل فيقول هذه الأمة أمراء بعضهم على بعض فيتقدم أميرهم فيصلي فاذا صلى به اخذ عيسي عليه السلام حربته فيذهب نحو الدجال فاذا رآه الدجال ذاب كما يذوب الرصاص فيضع حربته بين ثندوته فيقتله وينهزم أصحابه فليس شيء يومئذ يواري منهم أحداً حتى ان الشجرة لتقول يامومن هذا كافر قال الحافظ الهيثمي . على بن زيد فيه ضعف وقدوثق وبقية رجال أحمد والطبراني رجال الصحيح اه ورواه الحاكم من طريق سعيد بن هبيرة عن حماد بن زيد عن أيوب السختياني وعلى بن زيد بن جدعان عن أبي نضرة به وأعله الذهبي بان ابن هبيرة واه ثم رواه الحاكم من طريق عفان بن مسلم عن حماد بن زيد عن على ابن زيد بن جدعان عن أبي نضرة به فقال الذهبي هذاهو المحفوظ اه قلت يعني الذهبي أن المحفوظ رواية من روى الحديث من طريق على بن زيد وحده ليس معه أيوب السختياني أي أن الحديث من مفاريده وذلك لايضر فان عليا أحد فقهاء البصرة وأئمتها وثقه

يعقوب بن شيبة وغيره وإنما ضعفه من ضعفه من قبل سوء حفظه واختلاطه آخر حياته لما عمى لكن راوى هذا الحديث عنه حماد بن زيد وهو من قدماء أصحابه الذين يميزون بين مستقيم حديثه وبين مختلطه وقد ذكرنا هذا إيضاحاً وتتميما لما أشار اليه الحافظ الذهبي وإلا فالتواتر لا يؤثر فيه شيء من هذا البتة كما نبهناك عليه فيما مر آنفاً فلا تغفل

. **فصل** وأما حديث واثلة بن الأسقع فاخرجه الحاكم قال أخبرني أبو زكريا يحيي بن محمد العنبري حدثنا أبو عبد الله محمد بن ابراهيم العبدي ثنا عمران بن أبي عمران الصوفى ثنا صدقة بن المنتصر ثنا يحي بن أبي عمرو السيباني عن عمرو بن عبد الله الحضرمي حدثني واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تقوم الساعة حتى تكون عشر آيات خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف فى جزيرة العرب والدجال ونزول عيسى ابن مريم ويأجوج ومأجوج والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس الى المحشر تحشر الناس تسوق الذر والنمل قال الحاكم حديث صحيح الاسناد وأقره الذهبي وعزاه الحافظ الهيثمى الى الطبراني وقال فى سنده عمران بن هرون وهو ضعيف اه قلت عمران بن هرون هو عمران بن أبي عمران الصوفي المقدسى الرملى يكنى أبا موسى قال ابو زرعة صدوق وقال ابن يونس فى تاريخ الغرباء الذين دخلوا مصر بعد اذ ذكر روايته عن الليث

وابن لهيعة وابن وهب وغيرهم . في حديثه لين اه .وذكره ابن حبان في الثقات وقال يخطىء ويخالف اه وحديث حذيفة بن أسيد في صحيح مسلم يشهد لهذا الحديث في اللفظ والمعنى كما يعلم من الموازنة بينهما ولذا أقر الذهبي الحاكم على تصحيحه . وليس عمران ضعيفا كما أطلق الحافظ الهيثمي بل هو صدوق فيه لين أى ضعف خفيف إذ اللين في الاصطلاح معناه ذلك والله اعلم

فصل وأما حديث عبد الله بن مسعود فاخرجه الامام احمد قال حدثنا هشيم عن العوام بن حوشب عن جبلة بن سحيم عن مؤثر بن عفازة عن ابن مسعود رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقيت ليلة أسري بي ابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام فتذاكروا أمر الساعة فردوا أمرهم الى ابراهيم فقال لا علم لي بها فردوا أمرهم الى موسى فقال لا علم لى بها فردوا امرهم الى عيسى فقال اما وجبتها فلا يعلم بها أحد الا الله وفيما عهد الى ربي عز وجل ان الدجال خارج ومعي قضيبان فاذا رآني ذاب كما يذوب الرصاص قال فيهلكه الله إذ رآني حتى ان الحجر والشجر يقول يامسلم ان تحتي كافراً فتعال فاقتله قال فيهلكهم الله ثم يرجع الناس الى بلادهم واوطانهم فعندذلك يخرج ياجوج وماجوج وهم من كل حدب ينسلون فيطئون بلادهم فلاياتون على شىء الااهلكوه ولا يمرون على ماء الا شربوه قال ثم يرجع الناس يشكونهم فأدعو الله فيهلكهم ويميتهم حتى تجوي الارض من نتن ريحهم

ويبرل الله المطر فيجرف أجسادهم حتى يقذفهم في البحر ففيما عهد الي ربي عز وجل أن ذلك اذا كان كذلك ان الساعة كالحامل المتم لا يدرى أهلها متى تفاجئهم بولادتها ليلا أو نهاراً ورواه ابن ماجه عن محمد بن بشار عن يزيد بن هرون عن العوام ابن حوشب به . ورواه الحاكم من طريق يزيد بن هرون ايضا عن العوام بن حوشب حدثني جبلة بن سحيم عن مؤثر بن عفازة عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم به نحوه الا أنه قال إن الدجال خارج فأهبط فأقتله وذكر الحديث وهذه الرواية تفسر رواية احمد التي فيها : فيهلكه الله اذا رآني وتعني أن الله يهلك الدجال بيد عيسى عليه السلام وهذا نحو قوله تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم فالية مافي الأمر أن رواية احمد عبرت بالحقيقة لأن الذي يحقق الهلاك هو الله سبحانه وتعالى ورواية الحاكم اسندت الأمر الي سببه العادى لأن الذى يباشر قتل الدجال ويكون سببا في هلاكه هو عيسى عليه السلام فلا تعارض بين الروايتين كما هو واضح . ثم ان الحديث صححه الحاكم وأقره الذهبي

تذنيبات في هذا الحديث من اللطائف رواية النبي صلي الله عليه وآله وسلم عن عيسى عليه السلام . وتسمى هذه الرواية ومثلها رواية الاكابر عن الاصاغر وهي فن لطيف من فنون علم الحديث أفرد بالتأليف

فصل وأما حديث حذيفة بن اليمان فأخرجه الحاكم

قال حدثني ابو بكر محمد بن احمد بن بالويه ثنا محمد بن شاذان الجوهري ثنا سعيد بن سليمان الواسطي ثنا خلف بن خليفة الأشجعي ثنا ابو مالك الأشجعي عن أبي حازم الأشجعي عن ربعي بن حراش عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنا أعلم بما مع الدجال منه معه نهران أحدهما نار تاجج في عين من رآه والآخر ماء ابيض فان ادركه منكم أحد فليغمض عينيه وليشرب من الذي يراه نارة فانه ماء بارد واياكم والآخر فانه الفتنة واعلموا أنه مكتوب بين عينيه كافر يقرأه من يكتب ومن لايكتب وأن احدى عينيه ممسوحة عليها ظفرة انه يطلع من آخر أمره على بطن الاردن على ثنية أفيق وكل واحد يومن بالله واليوم الآخر ببطن الأردن وانه يقتل من المسلمين ثلثا ويهزم ثلثا ويبقي ثلثا ويجن عليهم الليل فيقول بعض المومنين لبعض ما تنتظرون أن تلحقوا باخوانكم في مرضاة ربكم من كان عنده فضل طعام فليعد به على أخيه وصلوا حين ينفجر الفجر وعجلوا الصلاة ثم أقبلوا على عدوكم فلما قاموا يصلون نزل عيسى بن مريم صلوات الله عليه امامهم فصلى بهم فلما انصرف قال هكذا افرجوا بيني وبين عدو الله قال ابو حازم قال ابو هريرة فيذوب كما تذوب الاهالة في الشمس وقال عبد الله بن عمرو كما يذوب الملح في الماء وسلط الله عليهم المسلمين فيقتلونهم حتى ان الشجر والحجر لينادي ياعبد الله ياعبد الرحمن يامسلم هذا يهودي فاقتله فيفنيهم الله ويظهر المسلمون فيكسرون

الصليب ويقتلون الخنزير ويضعون الجزية فبينما هم كذلك أخرج الله ياجوج وماجوج فيشرب أحدهم البحيرة ـ اى بحيرة طبرية كما في أحاديث اخرى ـ ويجيء آخرهم وقد استقوه فما يدعون فيه قطرة فيقولون ظهرنا على أعدائنا قد كان هنا أثر ماء فيجيء نبي الله وأصحابه وراءه حتي يدخلوا مدينة من مدائن فلسطين يقال لها لد فيقولون ظهرنا علي من في الارض فتعـــالوا تقاتل من في السماء فيدعو الله نبيه عند ذلك ـ أى عند قولهم هـــذا وتنفيذهم له بان يوجهوا سهامهم الى جهة السماء فترجع اليهم مخضبة بالدم فيقولوا غلبنا من في الأرض ومن في السماء كما جاء في أحاديث أخري ـ فيبعث الله عليهم قرحة في حلوقهم فلا يبقى منهم بشر فتؤذى ريحهم المسلمين فيدعو عيسي صلوات الله عليه فيرسل الله عليهم ريحا ـ اى ومطرا وطيرا كما في أحاديث أخرى ـ فتقذفهم في البحر أجمعين . قال الحاكم صحيح علي شرط مسلم وسلمه الذهبي قلت قوله نزل عيسى بن مريم فصلى بهم الباء هنا بمعنى مع أى فصلى معهم ومجيء الباء بمعني مع كثير نحو اهبط بسلام منا أى مع سلام وسبح بحمد ربك أى مع حمده والمسالة مبسوطة في كتب النحو وإنما أولنا الباء ليتفق هذا الحديث مع الأحاديث الاخرى المصرحة بان عيسى يصلي خلف امام المسلمين صلاة الصبح عقب نزوله والقاعدة الأصولية أن الظاهر المحتمل ـ كالباء في بهم هنا ـ يؤول لموافقة النص الصريح وقوله في ياجوج وما جوج : فيبعث الله عليهم قرحة في حلوقهم . يخالف حديث مسلم الذى يقول : فيرسل الله

عليهم النغف في رقابهم وهو الدود الذي يكون في أنوف الابل والغنم وبجمع بين الحديثين بأن الله يسلط عليهم الدود في أعناقهم ورقابهم وهو يحدث فيهم القرحة المذكورة. حديث آخر: أخرج نعيم بن حماد عن حذيفة قال قلت يارسول الله الدجال قبل أو عيسى ابن مريم قال الدجال ثم عيسى بن مريم ثم لو أن رجلاً نتج فرساً لم يركب مهرها حتى تقوم الساعة حديث آخر: أخرج أبو عمرو الداني في سننه عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتفت المهدي وقد نزل عيسى بن مريم كأنما يقطر الماء من شعره فيقول المهدي تقدم صل بالناس فيقول عيسى إنما أقيمت الصلاة لك فيصلي خلف رجل من ولدي الحديث، حديث آخر أخرج نعيم بن حماد في كتاب الفتن عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخرج الدجال عدو الله ومعه جنود من اليهود وأصناف الناس معه جنة ونار ورجال يقتلهم ثم يحييهم ومعه جبل من ثريد ونهر من ماء وإني سأنعت لكم نعته انه يخرج ممسوح العين في جبهته مكتوب كافر يقرأه من كان يحسن الكتاب ومن لا يحسن فجنته نار وناره جنة وهو المسيح الكذاب فيتبعه من نساء اليهود ثلاث عشرة ألف امرأة فرحم الله رجلاً منع سفيهه ان يتبعه والقوة عليه يومئذ بالقرآن فإن شأنه بلاء شديد يبعث الله الشياطين من مشارق الأرض ومغاربها فيقولون له استعن بنا على ماشئت فيقول نعم انطلقوا فأخبروا الناس أني ربهم وأني قد جئتهم بجنتي وناري فينطلق الشياطين فيدخل على الرجل أكثر من مائة شيطان فيتمثلون له بصورة والده وولده واخوته ورفيقه ومواليه

فيقولون أتعرفنا فيقول الرجل نعم هذا أبي وهذه أمي وهذه أختي وهذا أخي فيقول الرجل ما نبأكم ؟ فيقولون بل أنت فأخبرنا ما نبأك ؟ فيقول الرجل انا قد أخبرنا أن عدو الله الدجال قد خرج فيقول له الشياطين مهلا لا تقل هذا فانه ربكم يريد القضاء فيكم هذه جنة قد جاء بها ونار ومعه الأنهار والطعام فلا طعام الا ما كان قبله الا ماشاء الله فيقول الرجل كذبتم ما أنتم الا شياطين وهو الكذاب وقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد حدث حديثكم وحذرنا وابناءنا منه فلا مرحبا بكم انتم الشياطين وهو عدو الله وليسوقن الله عيسى بن مريم حتى يقتله فيخسئوا فينقلبوا خاسئين ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انما احدثكم هذا لتعقلوه وتفقهوه وتفهموه وتعوه فاعملوا عليه وحدثوا به من خلفكم وليحدث الآخر الآخر فان فتنته أشد الفتن . قال الحافظ السيوطي في الجامع الكبير في سنده سويد بن عبد العزيز وهو متروك اه قلت فالحديث ضعيف ومع ضعفه ليس فيه ما يتعارض مع الأحاديث الصحيحة التي تؤيد أغلب جمله ومعانيه إلا قوله : ومعه رجال يقتلهم ثم يحييهم . هذا بظاهره يعارض ماجاء في الأحاديث الصحيحة ان الدجال يسلط على رجل واحد يقتله ثم يحييه ثم لا يسلط على احد غيره . والجواب على ذلك سهل وهو ان يقال هؤلاء الرجال المذكورون في هذ الحديث هم اتباع الدجال الذين يقتلهم ويحييهم في ظاهر الأمر كما يفعل المخرقون اصحاب الحيل المعروفون في مصر بالحواة فقد يأتي

الواحد منهم بالحروف مثلا فيشقة نصفين فيما يبدو للعين ثم يرجع كما كان ولهم في هذا الباب حيل واعاجيب كلها مخاريق واكاذيب وهذا بخلاف الرجل الذى يسلط عليه الدجال فانه رجل مؤمن يعارض الدجال ويكذبه فيقتله الدجال ثم يحييه على نحو ما يفعل بأصحابه الذين هم معه ثم لايسلط على أحد غيره من المومنين حفظا من الله لهم وتثبيتا لايمانهم يؤيد ما ذكرناه ما رواه الطبراني عن عبد الله بن معمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حديث الدجال قال ثم يدعو اي الدجال برجل فيما يرون فيومر به فيقتل ثم يقطع أعضاءه كل عضو على حدة فيفرق بينها حتى يراه الناس ثم يجمع بينها ثم يضرب بعصاه فاذا هو قائم فيقول أنا الله أحيي وأميت وذلك كله سحر يسحر به أعين النـــاس ليس يعمل من ذلك شيئا فبهذا الجواب ظهر ان لا تعارض ولا تناقض فالحمد لله على ما الهم وعلم . حديث آخر : اخرج ابن ابي شيبة وابن عساكر عن حذيفة قال ان اصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانوا يسألون عن الخير وكنت اسأل عن الشر مخافة أن أدركه واني بينما انا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم قلت يارسول الله أرأيت هذا الخير الذى أعطانا الله هل بعده من شر كما كان قبله شر قال نعم قلت فما العصمة منـه قال السيف قلت وهل للسيف من بقية قال هدنة على دخن قلت يارســول الله مابعد الهدنة ؟ قال دعاة الضلالة فان لقيت لله يومئذ خليفـــة في الأرض فالزمه وان أخذ مالك وضرب ظهرك والا ـــ وفي لفظ ـــ

فان لم يكن خليفة فاهربن في الأرض حد هربك ـ أي منتهى هربك ـ حتى يدركك الموت وأنت عاض على أصل شجرة قلت يارسول الله فما بعد دعاة الضلالة قال خروج الدجال قلت يارسول الله وما يجيء به الدجال قال يجيء بنسار ونهر فمن وقع في ناره وجب أجره وحط وزره قلت يارسول الله فما بعد الدجال قال عيسى بن مريم قلت فما بعد عيسى بن مريم قال لو أن رجلا نتج فرسا لم يركب مهرها حتى تقوم الساعة .

فصل وأما حديث عبد الله بن مغفل فاخرجه الطبراني في معجميه الكبير والأوسط عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ماأهبط الله تعالى الى الأرض منذ خلق آدم الى ان تقوم الساعة فتنة أعظم من فتنة الدجال وقد قلت فيه قولا لم يقله أحد قبلي انه آدم جعد ممسوخ عين اليسار على عينه ظفرة غليظة وانه يبرئ الأكمه والأبرص ويقول أنا ربكم فمن قال ربي الله فلا فتنة عليه ـ أي في دينه لا في دنياه ـ ومن قال أنت ربي فقد إفتتن ـ أي كفر ـ يلبث فيكم ما شاء الله ثم ينزل عيسى بن مريم مصدقا بمحمد على ملته اماما مهديا وحكما عدلا فيقتل الدجال فكان الحسن ـ يعني البصري ـ يقول ونرى أن ذلك عند الساعة قال الحافظ الهيثمي رجاله ثقات وفي بعضهم ضعف لا يضر اهـ قلت ولذا قال الحافظ السيوطي في الاعلام بحكم عيسى عليه السلام ـ وقد عزا الحديث الى الطبراني والبيهقي في البعث ـ ان سنده جيد

فصل وأما حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

فاخرجه الامام أحمد عنها قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا ابكي فقال ما يبكيك قلت يارسول الله ذكرت الدجال فبكيت فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يخرج وأنا فيكم كفيتموه وان يخرج بعدى فان ربكم عز وجل ليس بأعور انه يخرج من يهودية اصبهان — اسم مكان نسب اليه بعض العلماء كما في كتب السكني والأنساب — حتى يأتي المدينة فينزل ناحيتها ولها يومئذ سبعة أبواب على كل نقب منها ملكان فيخرج اليه شرار أهلها حتي يأتي الشام مدينة فلسطين بباب لد قال أبو داود مرة حتي يأتي مدينة فلسطين فينزل عيسى ابن مريم عليه السلام فيقتله ويمكث عيسى في الأرض أربعين سنة اماما عدلا وحكما مقسطا قال الحافظ الهيثمي رجاله رجال الصحيح غير الحضرمي بن لاحق وهو ثقة قلت ورواه ابن حبان في صحيحه قال اخبرنا عمران بن موسي بن مجاشع السختياني ثنا عثمان بن ابي شيبة ثنا الحسن بن موسى الاشيب ثنا شيبان بن عبد الرحمن عن يحيي بن ابي كثير عن الحضرمي بن لاحق عن أبي صالح عن عائشة به، حديث آخر أخرج ابن عساكر عن عائشة قالت قلت يارسول الله اني أرى اني أعيش من بعدك فتأذن لى أن أدفن الى جنبك فقال وأني لي بذلك الموضع مافيه الا موضع قبري وقبر أبي بكر وعمر وعيسى بن مريم ؟ ولهذا الحديث شواهد يأتي بعضها بحول الله

فصل وأما حديث سمرة بن جندب فاخرجه الامام احمد والطبراني عنه أن رسول الله صلي الله عليه وآله وسلم قال ان الدجال

خارج وهو أعور عين الشمال عليها ظفرة غليظة وانه يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى — أي على الطريقة التي بيناها في الكلام على حديث حذيفة — ويقول للناس انا ربكم فمن قال أنت ربي فقد فتن ومن قال ربي الله حتى يموت على ذلك فقد عصم من فتنة الدجال ولا فتنة عليه فيلبث في الأرض ماشاء الله — أربعين يوما على ماصرح به في الأحاديث الأخرى — ثم يخرج عيسى بن مريم قبل المغرب — اي جهة المغرب وهي الشام — مصدقاً بمحمد فيقتل الدجال وانما هو قيام الساعة — كناية عن شدة قرب وقوعها يومئذ . قال الحافظ الهيثمي رجال الحديث رجال الصحيح . قال . ورواه البزار باسناد آخر ضعيف

حديث آخر : أخرج أحمد والبزار وابن جرير والطبراني والطحاوي وسعيد بن منصور والبيهقي عن سمرة بن جندب في حديث الكسوف قال خطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فحمد الله وأثنى عليه وشهد أنه عبد الله ورسوله ثم قال أيها الناس أنشدكم بالله ان كنتم تعلمون أني قصرت عن شيء من تبليغ رسالات ربي لما أخبرتموني ذلك قال فقام رجال فقالوا نشهد أنك قد بلغت رسالات ربك ونصحت لأمتك وقضيت الذي عليك . ثم قال أما بعد فان رجالا يزعمون أن كسوف هذه الشمس وكسوف هذا القمر وزوال هذه النجوم عن مطالعها لموت رجال عظماء من أهل الأرض وانهم قد كذبوا ولكنها آيات من آيات الله يختبر بها عباده فينظر من يحدث له منهم توبة وأيم الله لقد رأيت منذ قمت أصلي ما أنتم لاقوه في أمر دنياكم وآخرتكم وانه والله لا تقوم

الساعة حتى يخرج ثلاثون كذابا آخرهم الاعور الدجال وانه متى يخرج فسوف يزعم أنه الله تعالى فمن آمن به وصدقه واتبعه لم ينفعه عمل صالح من عمل سلف ومن كفر به وكذبه لم يعاقب بشيء من عمله سلف وانه سوف يظهر على الارض كلها الا الحرم وبيت المقدس وانه يسوق الناس الى بيت المقدس فيحصرون حصراً شديداً قال فيصبح فيهم عيسى بن مريم فيقتله وجنوده حتى ان جذم الحائط وأصل الشجرة لينادي يامسلم هذا كافر تعال فاقتله ولن يكون ذلك حتى تروا أمورا يتفاقم شأنها في أنفسكم فتتساءلون بينكم هل كان نبيكم ذكر لكم منها شيئا وحتى تزول جبال عن مراتبها ثم على أثر ذلك الموت. قال الحافظ الهيثمي رجال احمد رجال الصحيح غير ثعلبة بن عباد العبدي وثقه ابن حبان اه ورواه الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين وأقره الذهبي وصححه ابن خزيمة وابن حبان أيضا

فصل : وأما حديث أنس فأخرجه الحاكم من طريق ريحان بن سعيد حدثنا عباد بن منصور عن أيوب عن أبي قلابة عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيدرك رجال من أمتي عيسى بن مريم ويشهدون قتال الدجال قال الحافظ الذهبي : حديث منكر وعباد ضعيف. قلت كذا قال مع أن معنى الحديث متواتر كما هو معلوم وقد صحح الذهبي نفسه أحاديث ابي هريرة وواثلة وابن مسعود وحذيفة وفيها الاخبار

بخروج الدجال ونزول عيسي عليه السلام كما تقدم . وعباد بن منصور قال عنه القطان ثقة لا ينبغي أن يترك حديثه لرأي أخطأ فيه يعني القدر ولينه أبو زرعة وقال ابن معين ليس حديثه بالقوي ولكن يكتب . ولم يذكر الذهبي هذا الحديث في الميزان من منكرات عباد ووجدت الحافظ الهيثمي عزاه لأبي يعلى وضعفه بعباد ايضا ولعله تبع الذهبي في ذلك وقد أخرجه الطبراني أيضا بإسناد فيه معاوية بن واهب قال الحافظ الهيثمي لم أعرفه ولفظ رواية الطبراني . أنا أول من يدخل الجنة يوم القيامة وأشفع وسيدرك رجال من امتي الحديث وبمجموع الطريقين يكتسب قوة

حديث آخر : أخرج الحاكم أيضاً من طريق اسمعيل بن عياش عن أيوب عن أبي قلابة عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أدرك منكم عيسى بن مريم فليقرأه مني السلام قال الذهبي اسمعيل لم يحتجا به .

فصل : وأما حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه فأخرجه أبو نعيم في أخبار المهدي عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منا الذي يصلي عيسي بن مريم خلفه .

فصل : وأما حديث عمار بن ياسر رضي الله عنهما فأخرجه الخطيب قال أنبأنا أبو عمر عبد الواحد بن محمد بن عبدالله بن مهدي أنبأنا محمد بن مخلد الدوري حدثنا أحمد بن الحجاج بن الصلت ثنا سعيد بن سليمان ثنا خلف بن خليفة عن مغيرة عن ابراهيم عن علقمة

عن عمار بن ياسر رضي الله عنهما قال بينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم راكب إذ حانت منه التفاتة فإذا هو بالعباس فقال ياعباس إن الله عز وجل فتح هذا الأمر بي وسيختمه بغلام من ولدك يملؤها عدلا كما ملئت جوراً وهو الذي يصلي بعيسى عليه السلام . هذا إسناد ضعيف

فصل : وأما حديث عمران بن حصين رضي الله عنه

فأخرجه الحافظ أبو عمرو الداني في سننه عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تزال طائفة من أمتي تقاتل على الحق حتى ينزل عيسى بن مريم عليه السلام عند طلوع الفجر ببيت المقدس ينزل على المهدي فيقال تقدم يانبي الله فصل بنا فيقول هذه الأمة أمراء بعضهم على بعض ، قلت كل من حديث لاتزال طائفة من أمتي وحديث المهدي متواتر أما الأول فقد صرح بتواتره ابن تيمية في أول كتابه اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم وذكر طرقه شقيقنا الحافظ السيد احمد في الأجوبة الصارفة وأما الثاني فصرح بتواتره جماعة من الحفاظ وانكره ابن خلدون فرد عليه شقيقنا المذكور في كتاب سماه ابراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون جمع فيه اطراف المسألة جمعا متقنا وهو مطبوع بدمشق وقد كنت كتبت نحو عشر مقالات في مجلة الاسلام بعنوان تأييد المهدي حتى أوردت فيه أحاديث المهدي عن بضعة وثلاثين صحابيا وثلاثة من التابعين لو جمعت لجاءت تأليفا مستقلا

فصل وأما حديث أم الفضل رضي الله عنها فأخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة قال حدثنا الحسن بن اسحق بن ابراهيم ابن زيد حدثنا المنتصر بن نصر بن المنتصر ثنا احمد بن رشيد بن خثيم ثنا عمي سعيد بن خثيم عن حنظلة عن طاوس عن ابن عباس رضي الله عنهما قال حدثتني أم الفضل قالت مررت بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال انك حامل بغلام فاذا ولدت فأتيني به قالت فلما ولدته أتيت به النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأذن في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى وألبأه من ريقه وسماه عبد الله — هو ابن عباس الراوي عن أمه — وقال اذهبي بأبي الخلفاء فأخبرت العباس وكان رجلا لباسا فلبس ثيابه ثم أتي الي النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلما بصر به قام فقبل بين عينيه قال قلت يارسول ما شيء أخبرتني به أم الفضل قال هو ما أخبرتك هذا أبو الخلفاء حتى يكون منهم من يصلي بعيسى بن مريم عليه السلام قلت إسناده ضعيف وفيه لطائف إحداها اشتراك صحابيين في رواية الحديث إذ أن أوله من رواية أم الفضل وآخره المتعلق بعيسي من رواية العباس . ثانيتها رواية الرجل عن أمه فان عبدالله بن عباس رواه عن أمه أم الفضل فان كان العباس أبلغ آخر الحديث لأم الفضل ولم تحضره بنفسها كما هو الظاهر اجتمع فيه رواية الرجل عن أمه عن أبيه وهي ثالثة اللطائف ورابعتها رواية صحابي عن صحابي وفي الحديث جواز التقبيل على جهة الاكرام والتعظيم وقد ورد في ذلك أحاديث فيها الصحيح والحسن والضعيف ذكر الحافظ جملة وافرة منها في فتح

الباري وجمعتها مع زوائد ضممتها اليها في جزء صغير سميته إعلام النبيل بجواز التقبيل ألفته باستدعاء من أحد علمـــاء الأزهر وهو مطبوع وقد ألف قبلي في هـذا الباب جماعة أولهم فيما أعلم الحافظ أبو بكر بن المقرى ألف كتاباً سماه جزء التقبيل وهو من مقروءات الحافظين العراقي وابن حجر وقرأت في الجزء الثاني من أمالي عبد الرازق ما نصه أخبرنا الثوري عن زياد بن فياض عن تميم بن سلمة قال لما قدم عمر الشام استقبله أبو عبيدة بن الجراح فقبل يده ثم خلوا يبكيان قال فكان تميم يقول تقبيل اليد سنة اه فادعاء بعض الناس اليوم أن تقبيل اليد بدعة لا يلتفت اليه وفي الحديث أيضاً جواز القيام على جهة الاحترام وللنووي فيه جزء مطبوع متداول ذكر فيه بضعة أحاديث ناقشه في الاستدلال بها صاحب المدخل ونقل الحافظ ذلك في فتح البـــاري والمسألة مبسوطة في محالها من الكتب المذكورة وغيرها فلا داعي إلى بسطها هنا .

فصل : وأما حـديث أم سلمة فرواه الطبراني قال ثنا أحمد بن داود المكي ثنا محمد بن اسماعيل بن عون النيلي ثنا الحرث ابن معاوية بن الحرث عن أبيه عن جده أبي أمه أنه كان يقول لما خرج زيد أتيت خالتي فقلت يا أمه قد خرج زيد فقـالت المسكين يقتل كما قتل آباؤه كنت عند أم سلمة فتذاكروا الخلافة فقالت أم سلمة كنت عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فتذاكروا

الخلافة فقالوا ولد فاطمة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لن يصلوا اليها ولكنها في ولد عمي صنوابي حتى يسلموها إلى المسيح

فصل . وأما حديث ابن عباس رضي الله عنهما فأخرجه أبو نعيم في أخبار المهدي عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لن تهلك أمة أنا في أولها وعيسى بن مريم في آخرها والمهدي في أوسطها ورواه الحاكم في تاريخ نيسابور وابن عساكر في تاريخ دمشق ولفظ روايتهما كيف تهلك أمة أنا في أولها وعيسى ابن مريم في آخرها والمهدي من أهل بيتي في وسطها . والمراد بالوسط ما قبل الآخر قاله المناوي وغيره وقال ابن حجر الهيتمي المراد بالوسط قريب آخرها حتي لا ينافي الروايات المصرحة بأنه في آخرها ولتقدمه بيسير على عيسى وصفه بأنه وسط ووصف عيسى بأنه آخر اه . حديث آخر . قال الدار قطني ثنا عبيد الله بن عبد الصمد بن المهتدى ثنا محمد بن هرون السعدى ثنا احمد بن ابراهيم الانصاري عن أبي يعقوب بن سليمان الهاشمي سمعت المنصور يقول حدثني ابي عن جدي عن ابن عباس قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا سكن بنوك السواد ولبسوا السود وكان شيعتهم أهل خراسان لم يزل هذا الأمر فيهم حتي يدفعوه الى عيسى بن مريم . وهو ضعيف . حديث آخر . أخرج اسحق ابن بشر وابن عساكر عن ابن عباس قال الدجال أول من يتبعه سبعون ألفا من اليهود عليهم التيجان يعني الطيالسة ومعه سحرة

اليهود يعملون العجائب ويرونها الناس فيضلونهم بها وهو أعور ممسوح العين اليمنى يسلطه الله على رجل من هذه الأمة فيقتله ثم يضربه فيحييه ثم لا يصل الى قتله ولا يسلط على غيره وتكون آية خروجه تركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتهاونا بالدماء وضيعوا الحكم واكلوا الربا وشيدوا البناء وشربوا الخمور واتخذوا القيان ولبسوا الحرير وأظهروا بزة آل فرعون ونقضوا العهد وتفقهوا لغير الدين وزينوا المساجد وخربوا القلوب وقطعوا الأرحام وكثرت القراء وقلت الفقهاء وعطلت الحدود وتشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال فتمكنا في الرجال بالرجال والنساء بالنساء بعث الله عليهم الدجال فسلط عليهم حتى ينتقم منه وينحاز المؤمنون الى بيت المقدس قال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فعند ذلك ينزل أخي عيسى بن مريم من السماء على جبل أفيق(١) إماما هاديا وحكما عادلا عليه برنس له مربوع الخلق أصلت سبط الشعر بيده حربة يقتل الدجال فاذا قتل الدجال تضع الحرب أوزارها فكان السلم فيلقى الرجل الأسد فلا يهيجه ويأخذ الحية فلا تضره وتنبت الأرض كنباتها على عهد آدم ويؤمن به أهل الارض ويكون الناس أهل ملة واحدة قلت هذا الحديث وإن كان ضعيف الاسناد فالواقع يؤيده ويقويه اذ أغلب ما أشار اليه الحديث أو كله موجود حاصل والفساد في ازدياد نسأل الله العفو والعافية

---

(١) بفتح أوله وكسر ثانيه

فصل وأما حديث ثوبان فاخرجه الامام أحمد والنسائي والضياء المقدسي في المختارة عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عصابتان من امتي أحرزها الله من النار عصابة تغزو الهند وعصابة تكون مع عيسى بن مريم قال المناوي في شرح الجامع الصغير اسناده حسن قلت بل اخراج الضياء للحديث في المختارة يقتضي انه صحيح ثم رأيت الحافظ الهيثمي عزاه للطبراني في الاوسط وقال سقط تابعيه والظاهر انه راشد بن سعد وبقية رجاله ثقات قلت ذهل عن عزوه الى المسند مع أن المسند فيه تام قال أحمد ثنا أبو النضر ثنا بقية ثنا عبد الله بن سالم وابو بكر بن الوليد الزبيدي — بالضم — عن محمد بن الوليد الزبيدي — بالضم — عن لقمان بن عامر الوصابي عن عبد الاعلى بن عدي البهراني عن ثوبان مولى رسول الله عنه صلى الله عليه وآله وسلم قال فذكر الحديث. ورجاله ثقات وبعضهم موثق

فصل : وأما حديث عبد الرحمن بن سمرة فاخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول عنه قال ابعثني خالد بن الوليد بشيرا الي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم مؤتة فلما دخلت عليه قلت يارسول الله فقال علي رسلك ياعبد الرحمن أخذ اللواء زيد بن حارثة فقاتل حتى قتل رحم الله زيدا ثم أخذ اللواء جعفر فقاتل فقتل رحم الله جعفراً ثم اخذ اللواء عبد الله بن رواحة فقاتل فقتل رحم الله عبد الله ثم أخذ اللواء خالد ففتح الله لخالد فخالد سيف

من سيوف الله فبكي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهم حوله فقال مايبكيكم قالوا ومالنا لا نبكي وقد قتل خيارنا وأشرافنا وأهل الفضل منا فقال لا تبكوا فانما مثل أمتي مثل حديقة قام عليها صاحبها فاجتث رواكيها وهيأ مساكنها وحلق سعفها فأطعمت عاما فوجا ثم عاماً فوجاً ثم عاما فوجا فلعل آخرها طعما يكون أجودها قنوانا وأطولها شمراخا والذي بعثني بالحق ليجدن ابن مريم في أمتي خلفا من حواريه

فصل وأما حديث نافع بن كيسان الثقفي فأخرجه ابن عائذ وتمام في فوائده وابن شاهين وابن عساكر كلهم من طريق عبد الرحمن بن أيوب بن نافع بن كيسان عن أبيه عن جده نافع ابن كيسان صاحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم رفعه ينزل عيسى بن مريم عند باب دمشق عند المنارة البيضاء لست ساعات من النهار في ثوبين ممشقين كانما ينحدر من رأسه اللؤلؤ قلت في اسناده ضعف واضطراب . وهذا الحديث يفيد أن عيسى ينزل بالنهار بعد مضي ست ساعات منه والنهار في عرف الشرع من طلوع الفجر الى المغرب فيخالف الأحاديث الأخرى المصرحة بانه ينزل سحرا قرب طلوع الفجر ببيت المقدس وأن امام المسلمين يدعوه ليصلي بهم فيمتنع . ويجاب عن ذلك بان عيسي عليه السلام ينزل نهارا في دمشق كما في هذا الحديث ثم يتوجه نحو بيت المقدس فيوافيه سحراً كما في الأحاديث الأخري هذا ماظهر لي والله أعلم

فصل . وأما حديث كيسان بن عبد الله بن طارق فأخرجه البخاري في التاريخ والطبراني وابن السكن وابن منده من طريق ربيعة بن ربيعة عن نافع بن كيسان عن أبيه سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول ينزل عيسي بن مريم عند المنارة البيضاء شرقي دمشق ورواه الربعي في فضائل الشام وعلم في فوائده من طريق هشام بن خالد عن الوليد بن مسلم عن ربيعة به . قال الحافظ ابن حجر : رجاله ثقات قال وقيل في هذا عن نافع بن كيسان ليس عن أبيه وسيأتي في النون يعني حديث نافع بن كيسان الذي ذكرناه آنفاً ثم قال الحافظ : ونقل ابن أبي حاتم عن أبيه أن من قال في الحديث في نزول عيسى عن نافع بن كيسان عن أبيه أخطأ وانما هو عن نافع بن كيسان عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم اه قلت كذا قال أبو حاتم وفيه شيء لأن كلا من نافع وكيسان صحابي فما المانع أن يكون كل منهما روى حديث نزول عيسي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لاسيما وقد روي البخاري هذا الحديث عن كيسان باسناد رجاله ثقات كما رأيت والبخاري أحفظ من أبي حاتم واعلم بعلل الأحاديث واسانيدها منه بل هو شيخ الحفاظ وامير المومنين في الحديث وابو حاتم نفسه انما استمد في كلامه على العلل والرجال من تاريخ البخاري كما صرح به أهل الفن وكذلك أبو زرعة ومسلم بن الحجاج والترمذي وغيرهم كلهم كانوا يستمدون من البخاري كما هو معلوم والله أعلم

فصل : وأما حديثا نافع بن عتبة وأبي برزة فأشار إليهما الترمذي في سننه لما روى حديث مجمع بن جارية وقد نقلنا كلامه فيما سبق فليرجع إليه

فصل • وأما حديث عمرو بن عوف المزني فأخرجه ابن عدي في الكامل قال حدثنا بهلول بن اسحق ومحمد بن جعفر الامام قالا حدثنا اسمعيل بن أبي أويس حدثني كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف بن زيد بن طلحة عن أبيه عن جده قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أول غزاة غزاها الأبواء حتى اذا كنا بالروحاء نزل بعرق الظبية فصلى ثم قال اسم هذا الجبل رجمة جبل من جبال الجنة اللهم بارك فيه وبارك لأهله فيه ثم قال للروحاء هذه سجاسج (١) وانها واد من أودية الجنة لقد صلى في هذا المسجد قبلي سبعون نبيا ولقد مر بها موسى عليه عباءتان قطوانيتان على ناقة ورقاء في سبعين ألفا من بني اسرائيل حاجين البيت ولا تقوم الساعة حتى يمر بها عيسي عبد الله ورسوله حاجا أو معتمرا . قلت غزوة الأبواء هي غزوة ودان وهي أول مغازيه عليه الصلاة والسلام كانت على رأس سنة من مقدمه المدينة رمي

---

(١) سجاسج جمع سجسج وهي الأرض التي تكون وسطا بين الصلابة والسهولة وقوله — قبل ذلك — رجمة بالجيم هو الحجارة ووقع في ميزان الذهبي رحمة وشخاشيخ وكلاهما تصحيف

فيها سعد بن أبي وقاص سهما واحدا وهو أول سهم رمى في الاسلام ولم يحصل فيها قتال بل وادع النبي صلى الله عليه وآله وسلم بني ضمرة على ألا يغزوه ولا يكثروا عليه جمعا ولا يعينوا عليه عدوا ثم انصرف الى المدينة بعد اذ غاب عنها خمس عشرة ليلة

تنبيه جاء هذا الحديث من طريق كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف كما رأيت وكثير ضعيف عندهم بل كذبه الشافعي وأبو داود وذلك لا يضر هنا لأننا بينا فيما سبق على أن المتواتر لا يشترط في راويه العدالة ولا الاسلام على أن هذا الحديث معضود بحديث الصحيح ليهلن ابن مريم بفج الروحاء بالحج أو العمرة أو ليثنينهما وانما ذكرنا تضعيف كثير لننبه على فائدة مهمة وهي أن الذهبي لما ترجمه في الميزان ونقل كلام المحدثين في تضعيفه قال ما نصه وأما الترمذي فروى من حديثه الصلح جائز بين المسلمين وصححه فلهذا لا يعتمد العلماء على تصحيح الترمذي اهـ فأخذ بعض الناس هذا على اطلاقه وصاروا يشيعون ان الترمذي لا يعتمد عليه في التصحيح والتحسين ثم اضطروا الى الاحتجاج بتصحيحه وتحسينه في أحاديث ظنوها موافقة لهواهم فأخطأوا فيما أشاعوه أولا وتناقضوا في الاحتجاج بكلامه ثانيا وما دروا أن كلام الذهبي المذكور مردود غير مقبول فقد رده الحافظ العراقي في شرح الترمذي في الكلام على حديث عمرو بن عوف ان في الجمعة ساعة لا يسأل الله تعالى العبد فيها شيئا الا آتاه اياه الحديث رواه الترمذي من طريق كثير وحسنه فنقل الحافظ العراقي كلام الذهبي ثم قال

ما نصه لا يقبل هذا الطعن منه في حق الترمذي وإنما جهل الترمذي من لا يعرفه كابن حزم وإلا فهو إمام معتمد عليه ولا يمتنع أن يخالف اجتهاده اجتهاد غيره في بعض الرجال وكأنه رأي ما رآه البخاري فانه روى عنه أنه قال في حديث كثير عن أبيه عن جده في تكبير العيدين أنه حديث حسن ولعله — أي الترمذي — إنما حكم عليه — أي على حديث ساعة الجمعة — بالحسن باعتبار الشواهد فانه بمعنى حديث أبي موسى المذكور في الباب فارتفع بوجود حديث شاهد له إلى درجة الحسن اه كلامه ونقله الشوكاني في باب فضل يوم الجمعة وذكر ساعة الاجابة من نيل الأوطار.

وما قاله العراقي هو الصحيح المؤيد بالمشاهدة فانك إذا تتبعت صنيع الحفاظ في كتبهم كالنووي والمنذري وابن تيمية الجد والحفيد وابن القيم وابن رجب وابن كثير وابن حجر والسخاوي والسيوطي وغيرهم وجدتهم يعتمدون تصحيح الترمذي ويعولون عليه وقد يخالفونه في بعض الأحاديث لاختلاف النظر في بعض الطرق والأسانيد لكن ليس معنى ذلك إهدار كلام الترمذي وعدم الاعتماد عليه بالمرة كما ادعي المبطلون فان هذه دعوى لا تقوم على أساس.

فصل: واما حديث بعض الصحابة فأخرجه معمر في جامعه عن الزهري أخبرني عمرو بن سفيان الثقفي أخبرني رجل من الأنصار عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال

ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الدجال فقال يأتي سباخ المدينة وهو محرم عليه أن يدخلها وذكر الحديث وحصار الدجال المسلمين ببيت المقدس إلي أن قال فيقبا يعون - أي المسلمون - على القتال بيعة يعلم الله أنها الصدق من أنفسهم ثم تأخذهم ظلمة لا يبصر أحدهم كفه فينزل ابن مريم فيحسر عن أبصارهم وبين أظهرهم رجل عليه لأمة فيقول من أنت فيقول أنا عبدالله وروحه وكلمته عيسى اختاروا إحدي ثلاث بين أن يبعث الله على الدجال وجنوده عذاباً جسيما أو يخسف بهم الأرض أو يرسل عليهم سلاحكم ويكف سلاحهم فيقولون هذه يارسول الله أشفي لصدورنا فيومئذ تري اليهودى العظيم الطويل الأكول الشروب لا تقل يده سيفه من الرعب فينزلون اليهم فيسلطون عليهم ويذوب الدجال حتي يدركه عيسى فيقتله .

فصل وأما حديث أبي الدرداء رضي الله عنه فاخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خير امتي أولها وآخرها وفي وسطها الكدر ولن يخزى الله أمة انا أولها والمسيح آخرها اسناده ضعيف كما قال المناوي .

فصل وأما مرسل جبير بن نفير فاخرجه ابن أبي شيبة والحكيم الترمذي في نوادر الأصول والحاكم من طريق عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه قال لما اشتد جزع أصحاب

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على من قتل يوم مؤتة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليدركن الدجال من هذه الأمة قوماً مثلكم أو خيراً منكم — ثلاث مرات — ولن يخزى الله أمة أنا أولها وعيسى بن مريم آخرها . قال الذهبي : مرسل وهو خبر منكر اه قلت أما الارسال فمجبور بورود الحديث موصولا من طريق عبـــد الرحمن بن سمرة كما تقدم مع وجود شواهد لمعناه كحديث ابن عمرو وابن عباس وغيرهما . وأما النكارة فالذهبي قصد بها ما يفيده ظاهر الحديث من أفضلية غير الصحابة عليهم وهو خلاف ما اقتضته الأدلة وانعقد عليه الاجماع من أفضلية الصحابة على سائر الأمة . ويجاب عن ذلك بأن الحديث خرج مخرج التسرية والتسلية للصحابة عمن فقدوهم يوم مؤتة وليس ظاهره مراداً ذلك أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما رأى جزعهم وحزنهم أراد أن يسرى عنهم فأخبرهم أن الخير لا ينقطع عن هذه الأمة المحمدية على مدى الزمان حتى أن الدجال إذا خرج أدرك قوماهم في الفضل والخير مثل الصحابة إن لم يكونوا خيراً منهم وذكرت الخيرية هنا تأييداً لحصول المثلية المذكورة قبلها وأنها متحققة بحيث لم يبق شك إلا فيما زاد عليها من الخيرية أى الأفضلية ومثل هذا التعبير شائع معهود والمراد بالمثلية في الحديث أن هؤلاء القوم الذين يدركهم الدجال يماثلون الصحابة في شدة التمسك بالحق وانفرادهم بالدفاع عنه في وقت يعم فيه الفساد ويجمع اليهود وفي مقدمتهم الدجال على محاربة المسلمين واستئصال شأفتهم كما كان

الحال في صدر الإسلام . وليس المراد أنهم مثل الصحابة في جميع حالهم من المزايا والخصائص (١) والحاصل أن الحديث يدل على بقاء الخير في هذه الأمة وعدم انقطاعه فهو يعني الحديث الآخر : مثل أمتي مثل المطر لا يدري أوله خير أم آخره . وفي رواية مثل أمتي مثل المطر يجعل الله في أوله خيراً وفي آخره خيراً والحديث في مسند أحمد وسنن الترمذي وغيرهما من طرق وهو حديث حسن . أما حديث الخير في وفي أمتي إلى يوم القيامة ، فلا أصل له ، وسئل عنه الحافظ ابن حجر فقال لا أعرفه والله أعلم .

فصل وأما مرسل الحسن البصري فأخرجه ابن جرير في تفسيره قال حدثني المثنى حدثنا إسحق ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قول الله تعالى إني متوفيك قال يعني وفاة المنام رفعه الله في منامه قال الحسن قال رسول الله ﷺ لليهود إن عيسى لم يمت وإنه راجع إليكم قبل يوم القيامة .

فصل وأما مرسل عروة بن رويم فأخرجه أبو نعيم في الحلية عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خير هذه

---

(١) ذكر ابن العربي في الأحكام في الكلام على قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم الآية حديث أبي ثعلبة ان من ورائكم أيام الصبر للعامل فيها أجر خمسين منكم فقالوا بل منهم فقال بل منكم الحديث وأجاب عنه بجواب حسن يراجع هناك

الأمة أولها وآخرها. أولها فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وآخرها فيهم عيسى بن مريم عليه السلام وبين ذلك نهج أعوج ليس منك ولست منهم. قلت قوله وبين ذلك نهج أعوج هو بمعنى حديث أبي الدرداء وفي وسطها الكدر وكانوها يشير إلى ما يحصل في الوسط من فتن ومعاصي وعقائد زائغة كما هو مشاهد في هذا الزمن نسأل الله العفو والعافية

فصل فهذه بضعة وستون حديثاً يرويها عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحد وثلاثون صحابيا وثلاثة تابعيين بألفاظ مختلفة وأسانيد متعددة فيها الصحيح والحسن والضعيف المنجبر كلها تصرح بنزول عيسى عليه السلام تصريحاً لا يحتمل تأويلا ولا روغاناً فهل يجوز للمتعلم بله العالم أن يشطب على هذه الأحاديث بجرة قلم ويقول عنها ما قاله صاحب الفتوى حيث جاء فيها ص ٥١٥ و ٥١٦ من العدد ٤٦٢ من مجلة الرسالة ما نصه : « أما آية النساء فإنها تقول بل رفعه الله اليه وقد فسرها بعض المفسرين بل جمهورهم بالرفع إلى السماء ويقولون إن الله ألقى على غيره شبهه ورفعه بجسده إلى السماء فهو حي فيها وسينزل منها آخر الزمان فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ويعتمدون في ذلك أولا على روايات تفيد نزول عيسى بعد الدجال وهي روايات مضطربة مختلفة في ألفاظها ومعانيها اختلافاً لا مجال معه للجمع بينها وقد نص على ذلك علماء الحديث وهي فوق ذلك من رواية وهب بن منبه وكعب الأحبار وهما من

أهل الكتاب الذين اعتنقوا الاسلام وقد عرفت درجتها في الحديث عند علماء الجرح والتعديل . وثانياً على حديث مروى عن أبي هريرة اقتصر فيه على الاخبار بنزول عيسي وإذا صح هذا الحديث فهو حديث آحاد وقد أجمع العلماء على أن أحاديث الآحاد لا تفيد عقيدة ولا يصح الاعتماد عليها في المغيبات اه كلامه وهو مع إيجازه جامع لعدة أغلاط الأول قوله في آية النساء وقد فسرها بعض المفسرين بل جمهورهم بالرفع إلى السماء يفيد أن من المفسرين من فسرها بغير الرفع وهذا غير صحيح فان المفسرين متفقون على القول برفع عيسي إلي السماء ووافقهم من قال بموته أيضاً وهما وهب ابن منبه وابن حزم ودونك كتب التفسير فانك واجد فيها ما ذكرناه لا ما زعمه صاحب الفتوي .

الثاني قوله على روايات تفيد نزول عيسي بعد الدجال عبر بالروايات إشارة إلى أنها ليست عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهذا غير صحيح بل ما عبر عنه بالروايات كله أحاديث مرفوعة لا موقوفة ولا مقطوعة كما علم مما تقدم ولم يكن العلماء ليجمعوا على اعتقاد نزول عيسى اعتماداً على روايات لم ترفع وهم أنفسهم مجمعون على أن المغيبات لا يعمل فيها إلا بما صح عن المعصوم كما نبه عليه غير واحد منهم .

الثالث قوله وهي روايات مضطربة مختلفة في ألفاظها ومعانيها اختلافاً لا مجال معه للجمع بينها وهذا غير صحيح فان تلك الأحاديث أو الروايات على حد تعبيره كلها متفقة على الاخبار بنزول عيسي

وانه يقتل الدجال والخنزير ويكسر الصليب الخ ما جاء فيها غاية ما في الأمر أن بعضاً منها يفصل وآخر يجمل وبعضاً يوجز وآخر يطنب وهذا كما يفعل القرآن العظيم إذ يورد القصة الواحدة في سور متعددة بأساليب مختلفة يزيد بعضها على بعض بحيث لا يمكن جمع أطراف القصة إلا بقراءة السور التي ذكرت فيها فاعل صاحب الفتوى ظن مثل هذا التخالف الذي يقوى شأن الحديث ويدل على تعدد مخارجه تعارضاً فأخطأ وأضعف خطأه حيث ادعى أنه لا مجال معه لجمع بينها وذلك أنه على فرض وجود تعارض فالجمع ممكن لو أعمل فكره وأمعن نظره وأخلص في بحثه لكنه أرسل قوله بتعذر الجمع دعوى تتعثر في أذيال الخجل .

الرابع قوله وقد نص على ذلك علماء الحديث — يعني أنهم نصوا على الاضطراب وتعذر الجمع وهذا غير صحيح فعلماء الحديث نصوا على التواتر لا الاضطراب وعلى وجوب اعتقاد ما تضمنه لا على رده بدعوى اضطراب وتعذر جمع موهومين وستتلى عليك نصوصهم بعد بحول الله .

الخامس قوله وهي فوق ذلك من رواية وهب بن منبه وكعب الأحبار وهذا غير صحيح فلقد ذكرنا بضعة وستين حديثا من طرق أربعة وثلاثين شخصاً ليس فيهم وهب ولا كعب أفليست هذه الدعوى وغيرها في كلامه دلائل على أنه ما أخلص في بحثه .

السادس قوله وهما من أهل الكتاب الذين اعتنقوا الاسلام يقصد بهذا الكلام تقصيهما وتقليل شأنهما كما هو ظاهر من دلالة السياق وما قصده خطأ غير صواب لأن كونهما من أهل الكتاب

الذين اعتنقوا الاســـــلام مما يمدحان به ويغبطان عليه لما روى البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي موسي الأشعري رضي الله عنــه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثة لهم أجران رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد صلى الله عليــه وآله وسلم والعبد المملوك اذا أدى حق الله وحق مواليه ورجل كانت له أمة فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها فله أجران فلكل من وهب وكعب أجران بنص الحـديث وهي مزية لهما على صاحب الفتوي الذي يجرحهما بما هو مدح وثناء ولهذه المنـــــاسبة يجب أن نقول ان الطعن في الراوي بكونه من أهل الكتاب طريقة الشيخ رشيد رضـا في رد الأحاديث التي تخالف هواه وهي طريقة غير جيدة لأنها تفتح الباب على مصراعيه للمبتدعين الزائغين في تجريح كثير من الصحابة والتابعين . ثم هي مخالفة لما عليه المحدثون فان العبرة عندهم بثقة الراوي وعدالته لا بأصـــــل دينه ونشأته فقد يكون الرجل مجوسيا ولكنه ساعة رواية الحـديث مسلم ثقة فمن ذا يقول إن روايته ترد الآن لمجوسيته بالأمس لا أحد يقول ذلك بل المحدثون كلهم يقولون العبرة بوقت الأداء لا بوقت التحمل أي أنه لو تحمل الحديث وهو كافر ثم أداه وهو مسلم قبل أداؤه بلا نزاع وانظر تراجم الصحابة والتابعين تجد كثيرين منهم كانوا مجوسا أو أهل كتاب فلم يضرهم ذلك عند الله وعند الناس شيئا إذا أسلموا واتقوا وأحسنوا بل كانوا هم خير القرون وأفضل الأمة بالنص والاجماع فليطمئن صاحب الفتوي وليعلم أن ما سلكه في

التجريح تبعا للشيخ رشيد وحده لا يفيد عند المحدثين ولا عند غير المحدثين .

السابع . قوله وقد عرفت درجتهما في الحديث عند علماء الجرح والتعديل يريد بهذا تضعيفهما وعدم قبول روايتهما ونحن نقول بموجبه لكن على غير ما يريد نعم قد عرفت درجتهما عند علماء الجرح والتعديل بالثناء عليهما وتعديلهما والجواب عما قيل في حقهما فوهب بن منبه يقول عنه الذهبي في الميزان . من أخيار علماء التابعين حديثه عن أخيه همام في الصحيحين وكان ثقة صادقا كثير النقل من كتب الاسرائيليات قال العجلي ثقة تابعي كان على قضاء صنعاء وقال مثنى بن الصباح لبث وهب عشرين سنة لم يجعل بين العشاء والصبح وضوءاً ضعفه الفلاس وحده ووثقه جماعة قال الجوزجاني كتب كتابا في القدر ثم ندم وقال احمد بن حنبل كان يتهم بشيء من القدر ثم رجع اه وكعب الحبر أخرج له البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي روى عنه من الصحابة أبو هريرة وابن العباس وغيرهما وجماعة من التابعين وكان عمر يقول له خوفنا يا كعب وكان يستشيره في أشياء ويعمل برأيه وذكره أبو الدرداء فقال ان عنده علما كثيراً وقال معاوية بن صالح عن عبد الرحمن ابن جبير قال قال معاوية الا ان كعب الاحبار احد العلماء ان كان عنده لعلم كالثمار وان كنا فيه لمفرطين وكان عبد الله بن الزبير يقربه ويسمع منه الشيء الكثير ويشهد له بالصدق فيما كان يحدثه به قرأت في الجزء الثاني من أمالي عبد الرزاق أخبرنا معمر عن

أيوب عن ابن سيرين قال قال عبدالله بن الزبير ما شيء كان يحدثنا به كعب إلا قد جاء على ما قال إلا قوله إن فتى ثقيف يقتلني وهذا رأسه بين يدي يعني المختار. قال يقول ابن سيرين ولا يشعر أن أبا محمد — يعني الحجاج — قد خبيء له . وكذلك معاوية كان يأخذ عنه ويسمع منه ويقول كان من أصدق هؤلاء الذين يحدثوننا يعني مسلمي أهل الكتاب أما قوله وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب فمحمول عند العلماء على الاسرائيليات التي كان يحدث بها فان فيها الكذب لا أنه يكذب لأنه ثقة كما في الجزء الثاني من تاريخ ابن كثير وغيره وقال النووي اتفقوا على كثرة علمه وتوثيقه والمقصود أن كعبا ووهبا ثقتان من خيار التابعين وكفاهما توثيقا أن روى لهما البخاري (١) إمام أهل الفن ولثانيهما مسلم أيضا ومن روى له الشيخان فقد قفز القنطرة كما يقول الذهبي

ويقول ابن خلدون في مقدمة تاريخه في الفصل الذي عقده للكلام على أحاديث المهدي ما نصه المعروف عند علماء الحديث أن الجرح مقدم على التعديل فاذا وجدنا طعنا في بعض رجال الأسانيد بغفلة أو بسوء حفظ أو ضعف أو سوء رأي تطرق ذلك إلى صحة الحديث وأوهن منها ولا تقولن مثل ذلك ربما يتطرق إلى

---

(١) بناء على عد المزي كعبا في رجال البخاري لكن اعترضه الحافظ ابن حجر بما يعلم من مراجعته في تهذيب التهذيب وذلك لا يغير مع حكاية النووي الاتفاق على توثيقه

رجال الصحيحين فان الاجماع قد اتصل في الأمة على تلقيهما بالقبول والعمل بما فيهما وفي الاجماع أعظم حماية واحسن دفع وليس غير الصحيحين بمثابتهما في ذلك فقد تجد مجالا للكلام في اسانيدها مما نقل عن أئمة الحديث في ذلك اه

وتجد الذهبي في الميزان لما ترجم خالد بن مخلد القطواني اسند من طريقه حديث من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ـ وهو مما تفرد به البخارى دون سائر الستة بل العشرة ـ ثم قال بعد روايته بتمامه ما نصه هذا حديث غريب جداً لولا هيبة الجامع الصحيح لعددته في منكرات خالد اه ولهذا أمثلة كثيرة في الميزان وغيره يعلم منها مكانة الصحيحين في نفوس العلماء واحترام الحفاظ أهل الفن لأحاديثها ورجالها وهو احترام مسند بالاجماع على تلقيهما بالقبول والعمل بما فيهما فقل للرشيد القلموني الذى حاول خرق هذا الاجماع بالطعن في بعض رجال الشيخين : تنكب لا يقطرك الزحام . الثامن قوله وثانياً على حديث مروى عن أبي هريرة اقتصر فيه على الاخبار بنزول عيسى هذا غلط من وجهين الأول أن المفسرين وغيرهم لم يستندوا في القول بنزول عيسى إلى حديث أبي هريرة وحده بل إلى الأحاديث الكثيرة المتعددة التي صرحوا بأنها متواترة . الثاني وهو التاسع في سلسلة الأغلاط أن حديث أبي هريرة لم يقتصر على الاخبار بنزول عيسى بل أخبر مع ذلك بأنه يقتل الخنزير والدجال ويكسر الصليب ويدعو الملل كلها إلى الاسلام ودونك أحاديث أبي هريرة التي أوردناها فهي ناطقة

بكل ذلك . العاشر قوله وإذا صح هذا الحديث فهو حديث آحاد
هـذا غلط من وجهين أيضاً

الاول أن غرضه بقوله واذا صح هذا الحديث التشكك في صحته كما يدل عليه سياق الكلام وروح الفتوى وحينئذ فالصحيح عربية استعمال ان الشرطية لأنها تدل على الشك أما استعمال اذا فغلط لأنها مختصة بالمتيقن والمظنون كما صرح به النحويون في كتبهم وذكره الحافظ في فتح الباري الثاني وهو الحادي عشر من الأغلاط قوله فهو حديث آحاد وهذا غلط لا يحتاج الى بيان لأنه واضح مما تقدم ومما يأتي ان شاء الله . الثاني عشر قوله وقد أجمع العلماء على أن أحاديث الآحاد لا تفيد عقيدة . وهذا غير صحيح . وبيان ذلك أن العلماء اختلفوا في خبر الواحد هل يفيد الظن أو العلم على قولين الأول أنه انما يفيد الظن فقط والى هذا ذهب الجمهور ثم اختلفوا فذهب أكثرهم الى أنه لا يفيد العلم سواء أنضمت اليه قرائن أم لا وذهب الآمدى وابن الحاجب وابن السبكي وغيرهم الى أنه يفيد العلم بانضمام قرائن اليه قال السيد الشريف في حاشية الشرح العضدى هذا هو المختار وكذا قال الحافظ ابن حجر في شرح النخبة الثاني ان خبر الواحد العدل يفيد بنفسه العلم اليقيني النظري من غير انضمام قرينة والى هذا ذهب أحمد بن حنبل . وحكاه ابن خويز منداد البغدادي المالكي عن مالك بن أنس واختاره وأطال في تقريره في كتاب له في أصول الفقه وحكاه ابن حزم الحافظ

في كتاب الاحكام عن الحرث بن أسد المحاسبي وداود بن علي الأصبهاني امام أهل الظاهر والحسين بن علي الكرابيسي قال، وبه نقول ثم اختلفوا فقال أحمد في أحد قوليه وابن حزم وغيرهما حصول العلم بخبر الواحد العدل مطرد وقال آخرون لا يطرد فجملة الأقوال في خبر الواحد أربعة (١) وعلى القول الثاني المختار فالخبر المحتف بالقرائن أنواع حديث الشيخين والحديث المستفيض ويسمى المشهور والحديث المسلسل بالحفاظ الأئمة كمالك وأضرابه فكل واحد من هذه الاحاديث يفيد العلم كما يعلم من محله اذا تقرر هذا فاعلم أن الذين يرون خبر الواحد مفيداً للعلم يقولون انه يفيد العقيدة كما هو واضح ولذا كان الامام أحمد يستند في كثير من الصفات والعقائد السمعية الى أحاديث آحاد صحيحة وكذلك يفعل ابن حزم في كلامه على العقائد بل هذا هو مقتضي صنيع المحدثين كالبخاري ومسلم وابن خزيمة وأصحاب السنن والحاكم وغيرهم اذ يستدلون في كتاب التوحيد من مصنفاتهم باحاديث صحيحة تتعلق بالله أو برسله وملائكته أو الحشر وما يتبعه أو بالقضاء والقدر او غير ذلك من السمعيات وللحافظ البيهقي كتابه الأسماء والصفات وكتاب الاعتقاد . من رآهما أو غيرهما من كتبه وكتب غيره تيقن صحة ما قلناه والمسألة مبسوطة في كتب

---

(١) الأول يفيد الظن مطلقا الثاني يفيد العلم بقرينة وهو المختار الثالث يفيد العلم من غير قرينة باطراد الرابع يفيد العلم لا باطراد

المصطلح المتداولة أثناء الكلام على العمل بالحديث الضعيف في الفضائل دون العقائد والأحكام

أما الذين يقولون أن خبر الواحد لا يفيد عقيدة فهم معظم الجمهور اذ يرونه مفيداً للظن مطلقاً كما تقدم ومما ذكرناه يتبين لك أن الاجماع الذي حكاه صاحب الفتوى غير صحيح

الغلط الثالث عشر قوله ولا يصح الاعتماد عليها في شأن المغيبات. أي ان العلماء أجمعوا على أنه لا يصح الاعتماد على أحاديث الآحاد في شأن المغيبات . كذا قال ! وهي دعوى أوسع من الغبراء وأكبر من أن تظلها الخضراء فكيف تحمل تبعتها صاحب الفتوى على ضعفه ؟!! لم يقل أحد من العلماء قبل هذا الوقت — لا من المحدثين ولا من الفقهاء (١) ولا من الأصوليين ولا من المتكلمين — أن حديث الآحاد لا يعتمد عليه في المغيبات بل الاجماع منعقد على ضد ذلك فانظر — كتب السنة على اختلاف أنواعها من صحاح وسنن ومسانيد ومعاجم وأجزاء وكتب التفسير وكتب السير والمعجزات والخصائص وكتب الملاحم وأشراط الساعة وكتب الترغيب والترهيب تجدها ملأى بأحاديث الآحاد في شأن المغيبات من ثواب وعقاب وأخبار عن أشياء ماضية وآتية وغير ذلك . وشراح الحديث كالخطابي وابن بطال والداودي والمازري وعياض والنووي والقرطبي والكرماني ومغلطاي وابن سيد الناس والدميري والعراقي وابن

---

(١) الا ماحكاه ابن تيمية في رفع الملام عن طوائف من الفقهاء فيما يختص بالوعيد ثم رده انظر ص ٩٩ — ١٠٢ من مجموعة الرسائل الكبرى له

حجر والعيني والطيبي وزكريا الانصاري والسيوطي والقسطلاني والزرقاني وغيرهم ممن لا يحصيهم العدد كلهم — علي اختلاف مذاهبهم — متفقون على قبول هذه الأحاديث والاستنباط منها وعدها من أعلام النبوة وتاويل ما أشكل ظاهره منها والجمع بين متعارضها ثم كتب المصطلح كلها تنص على أن الصحابي اذا قال قولا ليس للاجتهاد فيه مجال ولم يكن ياخذ عن الاسرائيليات فقوله مرفوع حكما أي يحكم بأنه سمعه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما فائدة المرفوع سوى العمل به ؟ واذا نقلوا أشياء في المغيبات عن بعض الصحابة أو التابعين ممن عرف بالأخذ عن الاسرائيليات يعقبونها بقولهم . مثل هذا لا يقبل فيه الا ماصح عن المعصوم تجد ذلك في مواضع من كتب البيهقي خصوصا الأسماء والصفات وفي تفسير ابن كثير وتاريخه وغيرهما بل صرح ابن كثير في أول تاريخه بأن العمدة والاستناد في المغيبات على كتاب الله وسنة رسوله مما صح نقله أو حسن ونقل كلامه الحافظ السخاوي في كتاب الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التوريخ وفي كتاب الأصل الأصيل في تحريم النقل من التوراة والانجيل واقره وأيده

فصل ولو سلمنا جدلا أن حديث أبي هريرة آحاد كما يزعم صاحب الفتوي فيجب الاعتماد عليه في هذه المسألة لأمور :

الأول أن نزول عيسي عليه السلام من الأحداث الواقعة في الدنيا قبل انقراضها فهو خبر كغيره من الأخبار التاريخية المتعلقة

بحوادث هذا العالم وما كان من هذا القبيل لا يشترط فيه التواتر بل يكفي فيه خبر الواحد العدل بإجماع المؤرخين والأخباريين ووجوب التصديق بوقوع هذا الحادث من أجل ان الشارع أخبر به لا يجعله من قسم العقائد التي يطلب فيها البرهان كالالهيات والنبوات . ذلك لأن كل ما أخبر به الشارع يجب تصديقه حتى في الفروع الفقهية كما هو معلوم ولذا قال الأستاذ أبو اسحق الاسفرايني وغيره إن المباح مكلف به من حيث وجوب اعتقاد إباحته

الثاني أننا لو قلنا إن نزول عيسى من قبيل العقائد فنقول المعتبر في العقيدة شرعاً هو العقد الجازم وهذا قد يحصل بخبر الواحد وبالتقليد بناء على ما صححه ابن السبكي وغيره والقول بأن إيمان المقلد لا يصح قصراً للايمان على أهل البرهان منسوب إلى أبي الحسن الأشعري وهو وإن صححه السنوسي في شرح الكبرى مردود عند جماعة المحققين وقد شنعوا علي الأشعري بأنه يلزمه إكفار العوام وهم غالب المؤمنين وقال أبو القاسم القشيري في دفع التشنيع هذا القول مكذوب عليه لكنه مشهور عنه كما في المقاصد فلا سبيل إلى تكذيبه فالأولي في دفع التشنيع ما سلكه التاج السبكي في رفع الحاجب حيث قال التقليد يطلق تارة بمعني قبول قول الغير بغير حجة ويسمي اتباع العامي لامامه تقليداً على هذا وهو العرف وتارة بمعنى الاعتقاد الجازم لا لموجب والتقليد بالمعني الأول قد يكون ظنياً وقد يكون وهماً كما في تقليد إمام في فرع من الفروع مع تجويز أن يكون الحق في خلافه ولا شك أن هذا

لا يكفي في الايمان عند سائر الموحدين ولعله مقصود الأشعري بقوله لا يصح إيمان المقلد قال وأما التقليد بالمعني الثاني فكان أبي رحمه الله يقول لم يقل أحد من علماء الاسلام انه لا يكفي في الايمان إلا ابو هاشم من المعزلة وأنا اقول إن هذا لا يتصور فان الانسان إذا مضى عليه زمن لا بد أن يحصل عنده دليل وإن لم يكن على طريقة أهل الجدل فان فرض مصمم جازم لا دليل عنده فهو الذي يكفره ابو هاشم ولعله المنسوب إلى الأشعري والصحيح أنه ليس بكافر وأن الأشعري لم يقل ذلك .

نعم اختلف أهل السنة في انه هل هو عاص والأصح عند أبي حنيفة رحمه الله انه مطيع وعند آخرين انه عاص وهو الخلاف في وجوب النظر فاعرفه اه .

الثالث أن خبر الآحاد يفيد العلم عند القرينة على المختار كما تقدم وحديث ابي هريرة قد احتفت به قرائن منها كونه مخرجاً في الصحيحين ومنها وروده من طرق ومنها تسلسله في بعض الطرق بالأئمة الحفاظ المتقنين فقد رواه البخاري عن علي بن المديني عن سفيان بن عيينة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة وهؤلاء بحور العلم وأطواد الرواية الواحد منهم يقوم مقام عدد كثير من غيرهم وبالله التوفيق .

فصل وقد ثبت نزول عيسي عليه السلام بالقرآن أيضا كما ثبت بالسنة المتواترة . وذلك في بضع آيات الأولى قول الله تعالي في البشارة بعيسى ويكلم الناس في المهد وكهلا . قال ابن

جرير في تفسيره حدثني يونس أخبرنا ابن وهب قال سمعته يعني ابن زيد يقول في قوله ويكلم الناس في المهد وكهلا قال قد كلمهم عيسى في المهد وسيكلمهم إذا قتل الدجال وهو يومئذ كهل وقال ابن جرير أيضا حدثني يونس أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله إني متوفيك ورافعك إلي قال متوفيك قابضك قال متوفيك ورافعك واحد قال ولم يمت بعد حتى يقتل الدجال وسيموت وتلا قول الله عز وجل ويكلم الناس في المهد وكهلا قال رفعه الله إليه قبل أن يكون كهلا قال وينزل كهلا . وقال الحسين بن الفضل البجلي إن المراد بقوله وكهلا أن يكون كهلا بعد أن ينزل من السماء في آخر الزمان ويكلم الناس ويقتل الدجال قال الحسين بن الفضل وفي هذه الآية نص في أنه عليه الصلاة والسلام سينزل إلى الأرض اهـ وقال ثعلب في قوله وكهلا — ينزل عيسى إلى الأرض كهلا اهـ

وقال العلامة الآلوسي في الكلام على هذه الآية ما نصه ويكلم الناس في المهد وكهلا عطف على الحال الأولى أيضاً وعطف الفعل على الاسم لتأويله به سائغ شائع وهو في القرآن كثير والظرف حال من الضمير المستكن في الفعل ولم يجعل ظرفا لغوا متعلقا به مع صحته لعطف وكهلا عليه والمراد يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا والمقصود التسوية بين الكلام في حال الطفولية وحال الكهولة وإلا فالكلام في الثاني ليس مما يختص به عيسى عليه السلام وليس فيه غرابة وعلى هذا فالمجموع حال لا كل على الاستقلال وقيل إن كلا منهما حال والثاني تبشير ببلوغ سن الكهولة وتحديد

لعمره والمهد مقر الصبي في رضاعه وأصله مصدر ومهي به وكان كلامه في المهد ساعة واحدة بما قص الله تعالى لنا ثم لم يتكلم حتى بلغ أوان الكلام قاله ابن عباس وقيل كان يتكلم دائماً وكان كلامه فيه تأسيسا لنبوته وارهاصاً لها على ماذهب اليه ابن الاخشيد وعليه يكون قوله وجعلني نبيا اخبارا عما يؤل اليه

وقال الجبائي انه سبحانه اكمل عقله عليه السلام إذ ذاك وأوحى اليه بما تكلم به مقروناً بالنبوة وجوز أيضاً ان يكون ذلك كرامة لمريم دالة على طهارتها وبراءة ساحتها مما نسبه اهل الأفك اليها والقول بأنه معجزة لها بعيد وإن قلنا بنبوتها والكهل مابين الشاب والشيخ ومنه اكتهل النبات إذا طال وقوى وقد ذكر غير واحد أن ابن آدم ما دام في الرحم فهو جنين فاذا ولد فهو وليد ثم مادام يرضع فهو رضيع ثم إذا قطع اللبن فهو فطيم ثم إذا دب ونما فهو دارج فاذا بلغ خمسة أشبار فهو خماسي فاذا سقطت رواضعه فهو مثغور فاذا نبتت اسنانه فهو مثغر بالتاء والثاء كما قال ابو عمرو فاذا قارب عشر سنين أو جاوزها فهو مترعرع وناشيء فاذا كاد يبلغ الحلم أو بلغه فهو يافع ومراهق فاذا احتلم واجتمعت قوته فهو حزور واسمه في جميع هذه الأحوال غلام فاذا اخضر شاربه واخذ عذاره يسيل قيل قد بقل وجهه فاذا صار ذا فتاء فهو فتى وشارخ فاذا اجتمعت لحيته وبلغ غاية شبابه فهو مجتمع ثم مادام بين الثلاثين والأربعين فهو شاب ثم كهل الي أن يستوفي الستين ويقال لمن لاحت فيه أمارات الكبر وخطه الشيب ثم يقال شاب

ثم شمط ثم شاخ ثم كبر ثم هرم ثم دلف ثم خرف ثم أهتر وعواقاله
إذا مات وهذا الترتيب إنما هو في الذكور ثم ذكر الترتيب في الأناث
ثم قال وعلى ما ذكر في سن الكهولة يراد بتكليمه عليه السلام كهلا
تكليمه لهم كذلك بعد نزوله من السماء وبلوغه ذلك السن بناء على
ماذهب اليه سعيد بن المسيب وزيد بن أسلم وغيرهما أنه عليه
السلام رفع إلى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وأنه سينزل الى
الأرض ويبقى حياً فيها أربعاً وعشرين سنة كما رواه ابن جرير
بسند صحيح عن كعب الأحبار ويؤيد هذا ما أخرجه ابن جرير ،
عن ابن زيد فى الآية قال قد كلمهم عيسى فى المهد وسيكلمهم اذا
قتل الدجال وهو يومئذ كهل اه قلت الصحيح ان عيسي عليه
السلام يمكث فى الأرض بعد نزوله أربعين سنة كما جاء فى الحديث
الصحيح هذا وزعم ابن القيم في زاد المعاد أن مايذكر من أن
عيسي رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة لا يعرف به أثر متصل
يجب المصير إليه قال الشامى فى سيرته وهو كما قال فان ذلك إنما يروى
عن النصارى والمصرح به فى الأحاديث النبوية انه إنما رفع وهو ابن
مائة وعشرين سنة اه ونقله الزرقاني في شرح المواهب مستشهداً
به على ما صححه من أن عيسى ويحيي عليهما السلام إنما بعثهما الله
بعد بلوغ أربعين سنة كسائر الرسل معللا ذلك بأن سن الأربعين
هو سن الكمال . قلت هذا كله عن الصواب بمعزل والعجب من
ابن القيم كيف نفي وجود أثر فى المسألة مع أنه ورد فيها حديث
مرفوع وآثار عن سعيد بن المسيب وزيد بن أسلم وابن زيد وغيرهم

من علماء التابعين قال الحافظ ابن كثير في تاريخه ما نصه قال الحسن البصري كان عمر عيسى عليه السلام يوم رفع أربعاً وثلاثين سنة وفي الحديث أن أهل الجنة يدخلونها جرداً مرداً مكحلين ابناء ثلاث وثلاثين وفي الحديث الآخر على ميلاد عيسى وحسن يوسف وكذا قال حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب أنه قال رفع عيسى وهو ابن ثلاث وثلاثين سنه اه وقال ابن أبي الدنيا حدثنا هاشم بن القاسم ثنا صفوان بن صالح ثنا رواد بن الجراح العسقلاني ثنا الأوزاعي عن هرون بن رياب عن أنس بن مالك قال. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدخل اهل الجنة الجنة على طول آدم ستين ذراعاً بذراع الملك(١) على حسن يوسف وعلى ميلاد عيسى ثلاث وثلاثين سنة وعلى لسان محمد جرد مرد مكحلون.

وأما مارواه الحاكم في المستدرك ويعقوب بن سفيان الفسوي في التاريخ عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان أن أمه فاطمة بنت الحسين حدثته أن عائشة كانت تقول أخبرتني فاطمه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخبرها أنه لم يكن نبي كان بعده نبي إلا عاش الذي بعده نصف عمر الذي كان قبله وان جبريل أخبرني أن عيسى بن مريم عاش عشرين ومائة سنة فلا أراني الا ذاهباً

---

(١) الملك بكسر اللام وذراع الملك يكنى به العرب عن الذراع الكامل غير المنقوص

على رأس ستين[٢] فهو حديث غريب كما قال الحافظ ابن كثير في تاريخه ونقل عن الحافظ ابن عساكر أنه قال: الصحيح ان عيسى لم يبلغ هذا العمر اهـ وما رواه سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن يحيي بن جعدة قال قالت فاطمة قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان عيسى بن مريم مكث في بني اسرائيل اربعين سنة ضعيف ايضاً لأنه منقطع كما قال الحافظ ابن كثير وما جاء في الحلية عن زيد بن ارقم مرفوعا ما بعث الله نبياً الا عاش نصف ما عاش النبي الذي كان قبله اسناده واه كما قال المناوى في شرح الجامع الصغير وقول ابن الديبع اسناده حسن، غير حسن. وحديث ما من نبي نبيء الا بعد الأربعين لا أصل له وقد ذكره الزمخشري في تفسير سورة القصص من الكشاف فقال الحافظ الزيلعى في تخريج أحاديثه لم أجده وكذا قال الحافظ ابن حجر في اختصاره لتخريج الزيلعى بل ورد مايعارضه قال الطبراني في الأوسط حدثنا محمد بن عمر بن منصور البجلى ثنا قتيبة بن سعيد ثنا جرير عن قابوس بن ابي ظبيان عن ابيه عن ابن عباس قال مابعث الله نبيا الا وهو شاب ولا أوتي عالم علما الا وهو شاب والصحيح الذى اعتمده المحدثون والمؤرخون كابن جرير وابن كثير وغيرهما أن عيسي عليه السلام أنزل عليه الوحي وهو ابن ثلاثين سنة ومكث حتي رفع الى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، وهو

---

(٢) مما يضعف هذا الحديث مخالفته لأصح الروايات وأشهرها في قدر عمر النبي عليه السلام وهو ثلاث وستون سنة أنظر شروح الصحيحين وكتب السير

الذى اعتمده أيضا جمهور العلماء قال الشهرستاني فى الملل والنحل :
وجميع الانبياء بلاغ وحيهم اربعون سنه وقد اوحى اليه انسانا
فى المهد وابلاغا عند الثلاثين وكانت مدة دعوته ثلاث سنين
وثلاثة اشهر وثلاثة أيام فلما رفع إلى السماء اختلف الحواريون
وغيرهم فيه اه

تنبيهان . الأول . روى الترمذى عن أبي سعيد الخدري
مرفوعا من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يردون بني
ثلاثين سنة فى الجنة لايزيدون عليها أبدا وكذلك أهل النار .
فهذا الحديث يخالف ماسبق والجواب عنه من وجهين أحدهما أن
اسناده ضعيف وثانيهما ماذكره ابن القيم فى حادى الأرواح الى
بلاد الأفراح وهو أن العرب اذا قدرت بعدد له نيف فان لهم
طريقين تارة يذكرون النيف للتحرير كما فى الأحاديث المتقدمة .
وتارة يحذفونه كما فى هذا الحديث قال ابن القيم وهذا معروف فى
كلامهم وخطاب غيرهم من الأمم اه

الثاني لعل أحدا يعترض مانقلناه عن ابن زيد وغيره في
تفسير الآية من أن عيسي عليه السلام انما يكون كهلا بعد نزوله
الى الأرض بما جاء فى كتب اللغة أن الكهل من جاوز الثلاثين
وقيل من بلغ أربعا وثلاثين الي احدى وخمسين وقد يؤيد اعتراضه
بما جاء في البحر المحيط لأبي حيان حيث قال فى تفسير الآية مانصه
لم يتعرض لوقت كلامه اذا كان كهلا فقيل كلامه قبل رفعه الي السماء
كلمهم بالوحى والرسالة وقيل ينزل من السماء كهلا ابن ثلاث

وثلاثين سنة فيقول لهم اني عبد الله كما قال فى المهد وهـذه فائدة قوله وكهلا أخبر أنه ينزل عند قتاله الدجال كهلا قاله ابن زيد اه

وعلى هـذا يكون عيسى عليه السلام قد كلم الناس كهلا وتحققت الآية الكريمة ولم يكن فيها دلالة على نزوله الى الأرض آخر الزمان

والجواب . أن الكهل حقيقة من بلغ أربعين سـنة مأخوذ من قولهم اكتهل النبت اذا تم طوله وظهر نوره قال الأعشي .

يضاحك الشمس منها كوكب شرق . مؤزر بعميم النبت مكتهل أي مثناه في الحسن والتمام . ولاشك أن سن الأربعين هو نهاية أشد الانسان ووقت استواء قوته وكمال عقله قال الله تعالى حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني الآية وورد عن مجاهـد تفسير الكهل بالحليم وهو تفسير باللازم غالبـا كما قال أبو حيان قال لأن الكهل يقوى عقله وادراكه وتجربته فلا يكون في ذلك كالشارخ اه أما ما بين الثلاثين والأربعين فهو سن الشباب بدليل ماتقدم في كلام الآلوسي نقلا عن غير واحد وهو المنصوص عليه فى المخصص وغيره بل ورد الحديث به أيضا روى أبو بكر بن أبي داود من طريق الأوزاعي عن هرون بن رياب عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يبعث أهل الجنة على صورة آدم في ميلاد ثلاث وثلاثين سـنة جردا مردا مكحلين ثم يذهب بهم الى شجرة فى الجنة فيكسون منها لاتبلى ثيابهم ولايفني شبابهم . فهذا الحديث نص فى المسئلة كما ترى . نعم

قد يطلق الكهل على من جاوز ثلاثين سنة كما جاء في كتب اللغة لكنه اطلاق مجازي لأن الشخص اذا جاوز الثلاثين من عمره دخل في عقد الأربعين ثم هو بحسب الغالب المعتاد في أعمار الناس واصل الى نهاية العقد فصح تسميته كهلا بهذا الاعتبار على سبيل المجاز المرسل ويسمى هذا النوع مجاز الأول فان قيل : لا يتعين ماذكرته بل يجوز أن يكون لفظ الكهل حقيقة فيمن جاوز الثلاثين كما هو حقيقة فيمن بلغ الأربعين ويكون من قبيل المشترك اللفظي

فالجواب : على هذا أن الاشتراك خلاف الأصل والتجوز — وان كان مثله في ذلك — فهو أولى منه لأنه أكثر استعمالا في الكلام حتى ادعى ابن جني أن أغلب اللغات مجاز ولهذا قال الاصوليون اذا دار اللفظ بين أن يكون مجازا أو مشتركا فالراجح حمله على المجاز لأنه أعم وأغلب نص عليه الامام الرازي في المحصول وابن الحاجب في المنتهى وابن السبكي في جمع الجوامع وغيرهم قال الشوكاني في ارشاد الفحول وهو الحق فما سلكناه هو المتعين من حيث القواعد اللغوية والأصولية وبهذا يتبين أن من فسر قوله تعالى ويكلم الناس في المهد وكهلا على أنه كلمهم بالوحي والرسالة قبل رفعه الى السماء حمله على معنى مجازي والمجاز لا بد له من قرينة ولا قرينة تعين هذا المجاز في الآية فالواجب تفسيرها بما ذكره ابن زيد والحسين بن الفضل البجلي وغيرهما واختاره الألوسي حيث لم يعرج على غيره كما تقدم وتكون الآية الكريمة

دالة على نزول عيسى عليه السلام ومبشره ايضا بنجاته من الصلب لأن اليهود تعرضوا له قبل سن الكهولة وقد وعد الله ببلوغه اياه فلابد من تحقق وعد الله وذلك يقتضي أنه حي الآن كما هو ظاهر وبالله التوفيق

فصل: الآية الثانية قول الله تعالى في سورة المائدة إذ قال الله ياعيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا وهذه مثل الآية الأولى والكلام فيها مثل الكلام فيها ولذا قال الحافظ السيوطي في تكملة تفسير الجلال المحلي عقب قوله وكهلا مانصه يفيد نزوله قبل الساعة لأنه رفع قبل الكهولة كما سبق في آل عمران اه وقال في آل عمران ما قررناه آنفاً تنبيه : اشتملت هذه الآية والتي قبلها على نكتتين لطيفتين الأولى الاخبار بأن عيسى عليه السلام يكلم الناس كهلا وقد قال المفسرون ان هذا وعد من الله بأنه سيعيش إلى سن الكهولة ، وهو معنى صحيح لكن في الآية مع هذا معنى آخر لم يعرجوا عليه فيما علمت وهو الاشارة الى أن كلامه كهلا يأتي على خلاف المعتاد المعهود فان الناس يتكلمون كهولا وشبانا ليس في ذلك ما يدعو الى العجب ولكن العجيب في شأن عيسى عليه السلام أن يرفع شابا ويغيب مئات السنين في عالم لاتجرى عليه الأغيار الجسمانية ثم ينزل ويكلم الناس بعد ذلك كهلا لاجرم أن هذا أمر غريب استحق لغرابته أن ينوه الله به في آيتين من كتابه بطريق البشارة تارة والامتنان أخرى ولذا قابله في كلتا الآيتين بأمر لايقل عنه غرابة

وهو كلامه في المهد فاشتملتا بذلك على معجزتين عظيمتين والي هذا أشار أحمد بن يحيي ثعلب بقوله ذكر الله لعيسى آيتين تكليم الناس في المهد فهذه معجزة والأخرى نزوله الي الارض عنـد اقتراب الساعة كهلا ابن ثلاثين سنة يكلم أمة محمد صلى الله عليه وسلم فهذه الآية الثانية اه وقوله ابن ثلاثين سنة لعله بسبق لســان عن قوله أربعين لأن عيسى رفع ابن ثلاث وثلاثين سنة

النكتة الثانية : التعبير بالناس حيث قال تعالى ويكلم الناس ، ولم يقل ويكلم بنى اسرائيل أو قومه كما هو المعهود فى كل رسول أنه يكلم قومه الذين أرسل اليهم خاصة ، للاشارة الى أن الذين يـكلمهم عيسي ليسوا قومه فحسب بل هم وغيرهم ممن ينزل عليهم آخر الزمان واقرأ قوله تعالى فى سورة آل عمران فى شأن البشارة بعيسي عليه السلام ورسولا الى بني اسرائيل وانظر كيف خص رسالته بقومه فقط لأنه لم يـكن مرسلا الى غيرهم ثم قابله بقوله تعالى ويـكلم الناس في المهد وكهلا تجد بينهما تخالفا فى الخصوص. والعموم مع انها فى سـياق البشارة والتنويه بعيسي عليه السلام . فما هذا التخالف والله اعلم الا النـكتة التي ابديناها وللاشارة الي، ان كلامه في حالتي طفولته وكهولته ليس بوصف كونه رسولا . فتأمل هذا جيدا واحفظه فانه من اسرار الـكتاب الـكريم وهو مما فتح الله به على فالحمد لله حمداً كثيراً

فصل : الآية الثالثة قول الله تعالى فى سورة النساء.

وان من اهل الـكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون.

عليهم شهيدا معنى الآية وان من اهل الكتاب اي مامن احد
من اهل الكتاب الا ليؤمنن به اى بعيسى عليه السلام وذلك عند
نزوله آخر الزمان حاكما بهذه الشريعة المحمدية داعيا اليها فلا يبقى
يهودي ولا نصراني اذ ذاك الا آمن به انه عبد الله ورسوله
وتصير الملل كلها ملة واحدة هي ملة الاسلام ويوم القيامة يكون
عليهم اى على اليهود والنصارى شهيداً يشهد على من كفر به
منهم وكذبه وافترى عليه فالضميران في به وفي موته عائدان
على عيسى عليه السلام وراجعان اليه كما تبين . وهذا التفسير الذي
ذكرناه فى الآية هو تفسير ابي هريرة وابن عباس وقتادة وابن
زيد وابي مالك والحسن وغيرهم اما تفسير ابي هريرة فقد ثبت عنه
في صحيحي البخارى ومسلم وغيرهما واوردناه باسانيده في اول
احاديث النزول فلا حاجة الى اعادته واما تفسير ابن عباس فرواه
الفريابي وعبد بن حميد الكشي والحاكم وغيرهم عنه في قوله تعالى
وان من اهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته قال خروج عيسى
عليه السلام وصححه الحاكم وروى ابن جرير وابن ابي حاتم من
طرق بعضها صحيح عن ابن عباس في قوله وان من اهل الكتاب
الا ليؤمنن به قبل موته قال قبل موت عيسى . وروى ابن جرير
عنه ايضا في الآية نفسها قال يعني انه سيدرك اناس من اهل
الكتاب حين يبعث عيسى فيؤمنون به واما تفسير قتادة فرواه
ابن جرير عنه وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته قال
قبل موت عيسى اذا نزل آمنت به الأديان كلها ورواه ايضا من

طريق اخر نحوه واما تفسير ابن زيد فرواه ابن جرير عنه في قوله وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته قال اذا نزل عيسى فقتل الدجال لم يبق يهودى في الأرض الا آمن به واما تفسير ابي مالك فرواه ابن جرير ايضا عنه في قوله الا ليؤمنن به قبل موته قال ذلك عند نزول عيسى بن مريم لا يبقى احد من أهل الكتاب الا ليؤمنن به واما تفسير الحسن فقال ابن ابي حاتم حدثنا ابي ثنا على بن عثمان اللاحقي ثنا جويرية بن بشير قال سمعت رجلا قال للحسن يا ابا سعيد قول الله عز وجل وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته قال قبل موت عيسى ان الله رفع اليه عيسى وهو باعثه قبل يوم القيامة مقاما يؤمن به البر والفاجر وروى ابن جرير عنه نحوه من طرق متعددة وهذا هو المتعين الذى لا يجوز غيره ولا يصح سواه والدليل عليه امور: احدها انه قول ابى هريرة وابن عباس وهما صحابيان جليلان شاهدا التنزيل وعرفا مقاصده بسليقتهما العربية وبتلقيها عن الرسول ثانيها انه موافق للأحاديث المتواترة التى صرحت بنزول عيسى وأن جميع الكتابيين يؤمنون به بعد نزوله وتصير الملل كلها ملة واحدة ولهذا كان أبو هريرة اذا روى حديث والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد وتكون السجدة واحدة لله رب العالمين يقول عقبه واقرأوا ان شئتم وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته . للاشارة الى أن الحديث يفسر الآية ويعين المراد منها

فهما متطابقان متوافقان . ثالثها . أن المتحدث عنه في الآيات قبل
هذه الآية هو عيسى عليه السلام ، اقرأ قوله تعالى فبما نقضهم
ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق الآيات
تجد الكلام مسوقا لتبرئة عيسي عليه السلام مما رمى به فوجب أن
تكون الضمائر كلها راجعة اليه أخذا بدلالة السياق وعملا بما توجبه
قواعد اللغة العربية التي نزل بها القرآن العظيم ولا يجوز العدول عن
هذا الا لمقتض يقتضي ذلك ولا مقتضى للعدول هنا البتة .

رابعها : أنه لو أعيد الضمير في به أوفي موته على غير
عيسى عليه السلام لوجب أن يكون مرجع أحد الضميرين غير
مرجع الضمير الآخر وفي ذلك تشتيت للضمائر من غير أن تكون
قرينة في اللفظ تدل عليه بخلاف مالو عادا الى عيسي عليه السلام فان
الكلام يستقيم على وتيرة واحدة من غير تشتيت ولا تعقيد . أما
من ادعي أن الضمير في موته عائد على الكتابي والمعنى وان من
أهل الكتاب الا ليؤمنن به اى بعيسي قبل موت الكتابي وذلك
اذا عاين قبل أن تزهق روحه ، فتمسك بما جاء عن ابن عباس
انه فسره بذلك فقال له عكرمة فان أتاه رجل فضرب عنقه قال
لا تخرج نفسه حتى يحرك بها شفتيه قال وان خرمن فوق بيت
أو احترق او اكله سبع قال يتكلم بها في الهواء ولا تخرج روحه
حتي يؤمن به وجاء عن مجاهد وعكرمة والضحاك وابن سيرين
نحو ذلك . وبأن قراءة أبي بن كعب في هذه الآية وان من أهل
الكتاب الا ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون من يؤمنن وضمير

الجمع في موتهم وهي تعين عود الضمير على الكتابي وانما جمع الضمير باعتبار أن أحدا المقدر في الآية في معنى الجمع . والجواب أن الذى استفاض عن ابن عباس وصح عن ابي هريرة وغيره هو القول الأول دون الثاني ولو فرضنا صحة القولين عنه فيترجح الأول منهما بموافقته للحديث المتواتر ولقواعد اللغة العربية كما قدمناه آنفا فيتعين المصير اليه وقراءة أبي شاذة لايجوز الاحتجاج بها كما لايجوز تلاوتها بناء على ماصححه امام الحرمين وأبو نصر القشيرى وابن السمعاني وابن الحاجب وغيرهم من عدم جواز الاحتجاج بالقراءة الشاذة وهو مذهب مالك وقال النووي انه مذهب الشافعي . لأنها نقلت آحادا فيما تتوفر الدواعي على نقله تواترا ولأنها قد تكون مذهبا لصاحبها كقراءة ابن مسعود فان كثيرا منها تفسيرات بحسب اجتهاده ولو جوزنا الاحتجاج بها بناء على ماصححه ابن السبكي من اجرائها مجرى الآحاد فذلك حيث لايوجد ماهو أقوي منها وفي هذا الموضع وجد الحديث المتواتر الذى عين المراد من الآية كما تقدم عن ابي هريرة وغيره والمتواتر مقدم على الآحاد اجماعا قال الحافظ ابن كثير في الكلام على هذه الآية مانصه قال ابن جرير وأولى هذه الأقوال بالصحة القول الأول ولا شك أن هذا الذى قاله ابن جرير هو الصحيح لأنه المقصود من سياق الآى في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى عليه السلام وصلبه وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة ذلك فاخبر الله تعالى أنه لم يكن الأمر كذلك وانما شبه لهم فقتلوا

الشبه وهم لا يتيقنون ذلك ثم انه رفعه اليه وانه باق حي وانه سينزل قبل يوم القيامه كما دلت عليه الأحاديث المتواترة التي سنوردها قريبا ان شاء الله فيقتل مسيح الضلالة ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية يعني لا يقبلها من أحد من أهل الأديان بل لا يقبل الا الاسلام أو السيف فأخبرت هذه الآية الكريمة انه يؤمن به جميع أهل الكتاب حينئذ ولا يتخلف عن التصديق به واحد منهم ولهذا قال وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته أي قبل موت عيسي الذي زعم اليهود ومن وافقهم من النصاري أنه قتل وصلب ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا اي باعمالهم التي شاهدها منهم قبل رفعه الى السماء وبعد نزوله الى الأرض أما من فسر هذه الآية بان المعنى ان كل كتابي لا يموت حتي يؤمن بعيسي أو بمحمد عليهما الصلاة والسلام فهذا هو الواقع وذلك أن كل أحد عند احتضاره ينجلي له ما كان جاهلا به فيؤمن به ولكن لا يكون ايمانا نافعا له اذا كان قد شاهد الملك كما قال تعالى في أول هذه السورة وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن وقال تعالى فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده الآيتين لكن لا يلزم منه أن يكون المراد بهذه الآية هذا . بل المراد بها ماذكرناه من تقرير وجود عيسى وبقاء حياته في السماء وأنه سينزل الى الأرض قبل يوم القيامة ليكذب هؤلاء وهؤلاء من اليهود والنصاري اه كلامه وقال ايضا بعد أن نقل قول الحسن الذي ذكرناه باسناده فيما تقدم قريبا مالفظه وكذا قال

قتادة وعبد الرحمن بن زيد بن اسلم وغير واحد وهذا القول هو الحق كما سنبينه بعد بالدليل القاطع ان شاء الله اهـ ويعني بالدليل القاطع الأحاديث المتواترة في نزول عيسى عليه السلام كما هو واضح . وقال الامام العلامة أبو حيان في البحر المحيط مانصه والظاهر أن الضميرين في به وفي موته عائدان على عيسى وهو سياق الكلام والمعنى من أهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله روى انه ينزل من السماء في آخر الزمان فلا يبقى أحد من أهل الكتاب الا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام قاله ابن عباس والحسن وأبو مالك اهـ وبهـــذا يرد قول العلامة الآلوسي ان عود الضمير في موته على عيسي غير ظاهر ذلك أن أبا حيان مع تقدمه في التفسير والحديث امام في اللغة والنحو والقراآت غير منازع بل لا يعلم فيمن تكلم على تفسير القرآن أنحى منه فهو حين استظهر عود الضميرين على عيسي عليه السلام انما استظهر ما اقتضته قواعد اللغة العربية التي برز فيها على غيره حتى ألقت اليه بالمقاليد

وأما من ادعى عود الضمير في به على محمد عليه الصلاة والسلام وهو منقول عن عكرمة فقد أغرب في الدعوى وأتي بما لا يستطيع أن يقيم عليه دليلا بل لو تأمل هذا القائل قليلا وأدرك ما يلزم على قوله هذا من الركاكة التي يتنزه عنها القرآن لعـــدل عن كلامه معترفا ببطلانه وقد قال ابن جرير في ابطاله مانصه وأما الذي قال عني بقوله ليؤمنن به قبل موته ليؤمنن بمحمد ﷺ قبل موت .

الكتابي فمما لا وجه له مفهوم لأنه لم يجر لمحمد ﷺ في الآيات التي قبل ذلك ذكر فيجوز صرف الهاء التي في قوله ليؤمنن به إلى أنها من ذكره وإنما قوله ليؤمنن به في سياق ذكر عيسى وأمه واليهود فغير جائز صرف الكلام عما هو في سياقه إلى غيره إلا بحجة يجب التسليم لها من دلالة ظاهر التنزيل أو خبر عن الرسول تقوم به حجة فأما الدعاوي فلا تتعذر على أحد

تنبيه : تبين مما أوردناه من الأدلة أن احتمال عود الضمير في موته على الكتابي ضعيف واحتمال عوده في به على غير عيسى باطل والاحتمالات الضعيفة والباطلة لا تنهض للحجية ولا تقوى للاستمساك فتكون الآية الكريمة نصا في حياة عيسى ونزوله بمعونة ما ذكر واللفظ يكون نصا بنفسه تارة . وبما ينضم إليه من القرائن أخرى وليس كل احتمال في اللفظ يؤثر في نصوصيته كما يتوهم كثير ممن لم يحكموا قواعد علم الأصول

فصل : الآية الرابعة قول الله تعالى في سورة الزخرف

في الكلام على عيسى عليه السلام وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها أي وإن عيسى لعلم للساعة تعلم بنزوله فلا تشكن فيها ، بهذا فسرها النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ابن حبان في صحيحه : ذكر البيان بأن نزول عيسى بن مريم من أعلام الساعة أخبرنا محمد بن الحسن بن الخليل حدثنا هشام بن عمار ثنا الوليد بن مسلم ثنا شيبان بن عبد الرحمن عن عاصم عن أبي رزين عن أبي يحيى مولى ابن عفراء عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم

في قوله وانه لعلم للساعة قال نزول عيسى بن مريم من قبل يوم القيامة ، هذا اسناد صحيح رجاله كلهم ثقات وعاصم من ائمة القراء المشهورين . وروي عن ابن عباس وابي مالك والحسن ومجاهد وقتادة والسدي والضحاك وابن زيد وغيرهم مثل ما جاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وآثارهم مروية في تفسير ابن جرير باسانيد مختلفة وطرق متعددة كلها تصرح بأن المراد بالآية نزول عيسى قبل قيام الساعة وهذا التفسير هو المتعين الذي لا يجوز في الآية غيره والدليل عليه أمور أحدها أنه الذي صح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما تقدم ثانيها أن سياق الكلام في عيسى عليه السلام اقرأ قوله تعالى ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون وقالوا أآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون ان هو الا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني اسرائيل ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم . فغير جائز صرف الكلام عما هو في سياقه إلى غيره الا بحجة يجب التسليم لها من دلالة ظاهر التنزيل أو خبر عن الرسول تقوم به حجة كما قال ابن جرير فيما سبق ، ثالثها أنه لو أعيد الضمير على غير عيسى كما قيل لأوجب ذلك ركة في اللفظ تتنزه عنها بلاغة الكتاب الحكيم قال العلامة الألوسي ما نصه وعن الحسن وقتادة وابن جبير ان ضمير انه للقرآن لما ان فيه الاعلام بالساعة فجعله عين العلم مبالغة أيضا وضعف بانه لم يجر للقرآن ذكر هنا مع عدم مناسبة

ذلك للسياق وقالت فرقة يعود على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقد قال بعثت أنا والساعة كهاتين وفيه من البعد مافيه وكان هؤلاء يجعلون ضمير أم هو وضمير إن هو له صلى الله عليه وآله وسلم أيضا وهو كما ترى اه وقال أيضا أثناء تمحيص الأقوال مانصه وكذلك رجوع الضمير إلى نبينا صلى الله عليه وآله وسلم في قوله تعالى أم هو مع رجوعه إلي عيسي عليه السلام في قوله إن هو إلا عبد — أى لا يجوز أيضا — وفيه من فك النظم ما يجب أن يصان الكتاب المعجز عنه ولا يكاد يقبل القول برجوع الضمير الثاني اليه صلى الله عليه وآله وسلم ولعل الرواية عن الحبر غير ثابتة اه قلت قد تحقق ترجي الألوسى فان الذي صح عن ابن عباس إعادة الضمائر في أم هو . وإن هو . وإنه على عيسي عليه السلام ولم يأت عنه خلاف هذا باسناد ثابت كما أن قتادة لم يقل قط أن الضمير في وإنه للقرآن وإنما حكاه عن غيره كما رواه عبد الرزاق وابن جرير وغيرهما فذكره مع القائلين به سهو وغفلة . واليك نصوص المفسرين في تأييد ماذهبنا اليه قال الامام العلامة أبو حيان في البحر مانصه والظاهر أن الضمير في وإنه لعلم للساعة يعود على عيسي عليه السلام إذ الظاهر أنها عائدة عليه وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والحسن والسدى والضحاك وابن زيد أي وإن خروجه لعلم للساعة يدل على قرب قيامها إذ خروجه شرط من أشراطها وهو نزوله من السماء في آخر الزمان اه وعلى هذا درج الزمخشري في الكشاف والامام الرازى في التفسير الكبير ومحيى السنة البغوى

في تفسيره والخازن والجلال المحلي وغيرهم وقال الحافظ ابن كثير مانصه قوله سبحانه وتعالى وإنه لعلم للساعة تقدم تفسير ابن إسحق أن المراد من ذلك مابعث به عيسى عليه الصلاة والسلام من إحياء الموتى وابراء الاكمه والأبرص وغير ذلك من الأسقام وفي هذا نظر وأبعد منه ماحكاه قتادة عن الحسن البصري وسعيد بن جبير أن الضمير في وإنه عائد على القرآن بل الصحيح أنه عائد على عيسى عليه الصلاة والسلام فان السياق في ذكره ثم المراد بذلك نزوله قبل يوم القيامة كما قال تبارك وتعالى وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته أي قبل موت عيسى عليه الصلاة والسلام ثم يوم القيامة يكون عليهم شهيدا ويؤيد هذا المعنى القراءة الأخرى وإنه لعلم أي أمارة ودليل على وقوع الساعة قال مجاهد وإنه لعلم للساعة خروج عيسى بن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة وهكذا روى عن أبي هريرة وابن عباس وأبي العالية وأبي مالك وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه أخبر بنزول عيسى قبل يوم القيامة إماما عادلا وحكما مقسطا اه وقال العلامة الآلوسي في روح المعاني وإنه أي عيسى لعلم للساعة أي أنه بنزوله شرط من أشراطها أو بحدوثه بغير أب أو باحيائه الموتى دليل على صحة البعث الذي هو معظم ماينكره الكفرة الواقعة في الساعة والحصر إضافي باعتبار أنه أعظم العلامات ثم قال وقد نطقت الأخبار بنزوله عليه السلام وذكر شيئا منها فأشار بذلك إلى تعين الاحتمال الأول الذي بدأ

به والواقع أن الآية الكريمة نص فيه وتلك الاحتمالات وإن كانت جائزة بحسب الأصل فلا أثر لها هنا أصلا إذ ليس كل احتمال يؤثر في نصوصية اللفظ كما نبهنا عليه قريبا وقد اختار الامام الرازى في المحصول أن الدليل اللفظى يفيد اليقين إذا انضمت اليه قرينة من مشاهدة أو تواتر قال التاج السبكي وهذا هو الحق وصححه محققو الأصوليين أيضا وأنت إذا رأيت الأحاديث المتواترة الناطقة بأن نزول عيسى من أشراط الساعة علمت علم اليقين أن هذا المعنى هو المراد من قوله تعالى وإنه لعلم للساعة لاسيما وقد عينه في هذه الآية بخصوصها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأي أثر لاحتمال مظنون مع وجود هذا الدليل القاطع ؟ وقد بلغني أن عالما أزهريا احتج على صاحب الفتيا الذى نرد عليه بهذه الآية وقال إنها نص في الموضوع فمنع ذلك بعض الحاضرين ممن له منصب كبير في الأزهر وأسند منعه بأنه على فرض عود الضمير إلى عيسى يبقى الاحتمال فيه هل ذلك من حيث نزوله أو من حيث ولادته بغير أب أو من حيث إحيائه الموتى فانقطع ذلك العالم ولم يحر جوابا وهذه غفلة شديدة من المستدل والمانع منشأها عدم إحكام قواعد الأصول والبعد عن علم الحديث الشريف الذى لا غنى للعالم عنه بل لا يستحق الشخص أن يسمى عالما بدونه وليت شعري إذا كان كل احتمال يمنع نصوصية اللفظ كما يتوهمون فكيف أجمع علماء الاسلام على القطع بالوجوب في نحو قوله تعالى أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما والزانية والزاني

فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة مع أن هذه الأوامر تحتمل غير الوجوب في حد ذاتها وإنما استفيد القطع بالوجوب فيهامن قرائن خارجة عنها فلتكن الآيات الدالة على نزول عيسى فى القطع بمضمونها كذلك والله سبحانه وتعالى أعلم

فصل في ذكر بعض ماورد عن الصحابة والتابعين من الآثار الدالة على نزول عيسى عليه السلام . جاء عن أبي هريرة وابن عباس آثار كثيرة تقدم بعضها ويأتي وتركنا باقيها اختصارا وأخرج بن أبي شيبة عن عبد الله بن عمرو قال ينزل عيسى بن مريم فاذا رآه الدجال ذاب كما تذوب الشحمة فيقتل الدجال ويفرق عنه اليهود فيقتلون حتى أن الحجر ليقول ياعبد الله للمسلم هذا يهودي فتعال فاقتله وأخرج ابن عساكر عن ابن مسعود قال إن المسيح بن مريم خارج قبل يوم القيامة وأخرج الحاكم وصححه عن أبي الطفيل — وهو صحابي — قال كنت بالكوفة فقيل قد خرج الدجال فأتينا حذيفة بن أسيد فقلت هذا الدجال قد خرج فقال اجلس فجلست فنودي أنها كذبة صباغ فقال حذيفة إن الدجال لوخرج زمانكم لرمته الصبيان بالخزف ولكنه يخرج في نقص من الناس وخفة من الدين وسوء ذات بين فيرد كل منهل وتطوى له الأرض طي فروة الكبش حتى يأتي المدينة فيغلب على خارجها ويمنع داخلها ثم جبل إيلياء فيحاصر عصابة من المسلمين فيقول لهم الذي عليهم ماتنتظرون بهذا الطاغية أن تقاتلوه حتى تلحقوا بالله أو يفتح لكم فيأتمرون أن يقاتلوه إذا أصبحوا فيصبحون

ومعهم عيسي بن مريم فيقتل الدجال ويهزم أصحابه وروي الترمذي من طريق عثمان بن الضحاك عن محمد بن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه عن جده قال مكتوب في التوراة صفة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعيسي بن مريم عليهما السلام يدفن معه قال أبو مودود وقد بقي من البيت موضع قبر قال الترمذي حديث حسن غريب ورواه الطبراني من هذا الطريق أيضا بلفظ يدفن عيسى بن مريم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصاحبيه فيكون قبره رابعا قال الحافظ الهيثمي فيه عثمان بن الضحاك وثقه ابن حبان وضعفه أبو داود وقد ذكر المزي هذا في ترجمته وعزاه إلى الترمذي وقال حسن ولم أجده في الأطراف اه قلت هو موجود في سنن الترمذي في اوائل أبواب المناقب في أبواب فضل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وعثمان بن الضحاك الذي ضعفه أبو داود هو الحزامي وهو غير عثمان بن الضحاك المذكور في هذا السند كما يعلم من تهذيب التهذيب وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن شهر بن حوشب عن محمد بن علي — هو بن الحنفية — في قوله تعالى : إن من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته قال ليس من أهل الكتاب أحد الا أتته الملائكة يضربون وجهه ودبره ثم يقال له ياعدو الله ان عيسي روح الله وكلمته كذبت على الله وزعمت أنه الله ان عيسي لم يمت وانه رفع الي السماء وهو نازل قبل أن تقوم الساعة فلا يبقي يهودي ولا نصراني الا آمن به وأخرج ابن المنذر عن شهر بن حوشب قال قال لي الحجاج ياشهر

ة من كتاب الله ماقرأتها الا اعترض فى نفسى منها شيء فقال الله وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته وإني اوتي بالاساري فأضرب أعناقهم ولا اسمعهم يقولون شيئا فقلت رفعت اليك على غير وجهها ان النصراني إذا خرجت روحه ضربته الملائكة من قبله ومن دبره وقالوا أي خبيث ان المسيح الذي زعمت أنه الله أو ابن الله أو ثالث ثلاثة عبد الله وروحه وكلمته فيؤمن به حين لا ينفعه ايمانه وان اليهودي اذا خرجت نفسه ضربته الملائكة من قبله ومن دبره وقالوا أي خبيث ان المسيح الذي زعمت انك قتلته عبد الله وروحه فيؤمن به حين لا ينفعه ايمان فاذا كان عند نزول عيسى آمنت به أحياؤهم كما آمنت به موتاهم فقال من أين أخذتها فقلت من محمد بن علي قال لقد أخذتها من معدنها قال شهر وايم الله ما حدثنيه الا أم سلمة ولكني أحببت أن أغيظه اه أي بذكر علي لأن الحجاج كان يبغض عليا وأولاده رضي الله عنهم بغضا شديدا وأخرج نعيم بن حماد في كتاب الفتن عن أرطاة قال بلغني أن المهدى يعيش أربعين عاما ثم يموت على فراشه ثم يخرج رجل من قحطان مثقوب الأذنين على سيرة المهدى بقاؤه عشرون سنة ثم يموت قتيلا بالسلاح ثم يخرج رجل من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم مهدى حسن السيرة يغزو مدينة قيصر وهو آخر أمير من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ثم يخرج في زمانه الدجال وينزل في زمنه عيسى بن مريم وأخرج نعيم في كتاب الفتن ايضا عن كعب الحبر التابعي الثقة باتفاق أهل الشأن قال يحاصر

الدجال المؤمنين ببيت المقدس فيصيبهم جوع شديد حتى يا كلوا أوتار قسيهم من الجوع فبينما هم على ذلك اذ سمعوا صوتا في الغلس فيقولون ان هذا الصوت رجل شبعان فينظرون فاذا بعيسى بن مريم وتقام الصلاة فيرجع امام المسلمين المهدي فيقول عيسى تقدم فلك أقيمت الصلاة فيصلي بهم تلك الليلة ثم يكون عيسى اماما بعده وقال ابن أبي شيبة في المصنف ثنا ابو أسامة عن هشام عن ابن سيرين قال المهدى من هذه الأمة وهو الذي يؤم عيسى بن مريم عليه السلام.

فصل : في ذكر نصوص فقهاء الأمة وعلماء الاسلام

المصرحة بنزول عيسى عليه السلام جاء في الموطأ ما نصه ماجاء في صفة عيسى بن مريم والدجال : مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيتني الليلة عند الكعبة فرأيت رجلا آدم كأحسن ما أنت راء من أدم الرجال له لمة كأحسن ما أنت راء من اللمم قد رجلها فهي تقطر ماء متكئا على رجلين أو على عواتق رجلين يطوف بالكعبة فسألت من هذا قيل هذا المسيح بن مريم ثم اذا أنا برجل جعد قطط أعور العين اليمنى كأنها عنبة طافية فسألت من هذا فقيل لي هذا المسيح الدجال قال الامام الفقيه الحافظ أبو الوليد الباجى في المنتقى أثناء كلامه على هذا الحديث ما نصه وفي العتبية عن مالك قال بينما الناس قيام يستمعون لاقامة الصلاة فتغشاهم غمامة فاذا عيسى بن مريم قد نزل اهـ ونقله العلامة الأبي ايضا في شرح مسلم وقال الامام الفقيه

الحافظ أبو جعفر الطحاوى فى كتابه اعتقاد أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة أبي حنيفه وأبي يوسف ومحمد بن الحسن مانصه ونؤمن بخروج الدجال الأعور اللعين ونزول عيسى بن مريم عليه السلام من السماء اه قال الاستاذ الكوثري وقد تلقي الطحاوى علوم هؤلاء في الاعتقاد والعمل عن سليمان بن شعيب الكيساني وبكار بن قتيبة وابن أبي عمران وأبي خازم فالاول عن أبيه عن محمد عن أبي يوسف وأبي حنيفة والثاني عن هلال بن يحيي عن زفر وأبي يوسف عن أبي حنيفة والثالث عن ابن سماعة وبشر بن الوليد فالأول عن محمد وأبي يوسف والثاني عن أبي يوسف والرابع عن عيسي بن ابان عن محمد اه وروى أبو يعلى في الطبقات والخلال وابن الجوزى فى المناقب عن عبدوس بن مالك أبي محمد العطار قال سمعت أبا عبد الله احمد بن محمد بن حنبل يقول أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه اصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم والاقتداء بهم وترك البدع وكل بدعة فهى ضلالة وترك المراء والجدال والخصومات فى الدين ، والسنة عندنا آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم والسنة تفسر القرآن وهى دلائل القرآن وليس في السنة قياس ولا تضرب لها الامثال ولا تدرك بالعقول ولا الاهواء وانما هو الاتباع وترك الهوى ومن السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقبلها ولم يؤمن بها لم يكن من أهلها الايمان بالقدر خيره وشره والتصديق بالأحاديث فيه والايمان بها ولا يقال لم ولا كيف انما هو التصديق والايمان بها ومن لم يعرف تفسير

الحديث ويبلغه عقله فقد كفي ذلك وأحكم له فعليه الايمان به والتسليم له مثل حديث الصادق المصدوق يعني حديث ابن مسعود ومثل ما كان مثله في القضاء والقدر ومثل أحاديث الرؤية كلها وان نبت عن الأسماع واستوحش منها المستمع فانما عليه الايمان بها وأن لا يرد فيها حرفا واحدا وغيرها من الأحاديث المأثورات عن الثقات والقرآن كلام الله وليس بمخلوق والايمان بالروية يوم القيامة كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من الأحاديث الصحاح وأن النبي ﷺ قد رأى ربه فانه مأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيح (١) رواه قتادة عن عكرمه عن ابن عباس ورواه الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس ورواه علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس والحديث عندنا على ظاهره كما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم والكلام فيه بدعه ولكن نؤمن به على ظاهره ولا نناظر فيه أحدا والايمان بالميزان يوم القيامة كما جاء يوزن العبد يوم القيامة فلا يزن جناح بعوضة وتوزن أعمال العباد كما جاء في الاثر والتصديق به والاعراض عمن رد ذلك وترك مجادلته وذكر الايمان بالحوض والشفاعة وعذاب القبر وسؤال منكر ونكير ثم قال مانصه والايمان بان المسيح الدجال خارج مكتوب بين عينيه كافر والأحاديث التي جاءت فيه والايمان بان ذلك كائن وأن عيسي بن مريم عليه السلام ينزل فيقتله بباب لد

---

(١) هذا احمد يحتج في العقائد بحديث الآحاد وسيأتي مثل ذلك في كلام الاشعري منقولا عن أهل الحديث فتنبه !

هذا كلام الامام أحمد رضي الله عنه ، وقال ايضا في الرسالة التي كتبها الى مسدد في بيان سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم مانصه والدجال خارج في هذه الامة لا محالة وينزل عيسى بن مريم الى الارض فيقتله بباب لد اه وانظر بقيتها في مناقب احمد لابن الجوزى ، وقال امام أهل السنة أبو الحسن الأشعرى في كتابه مقالات الاسلاميين واختلاف المضلين مانص المراد منه جملة ماعليه أهل الحديث وأهل السنة الاقرار بالله وملائكته وكتبه رسله وماجاء من عند الله ومارواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يردون من ذلك شيئا وأن الله تعالى اله واحد فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولدا وأن محمدا عبده ورسوله وأن الجنة حق وأن النار حق وأن الساعة آتية لاريب فيها وان الله يبعث من في القبور ويقرون بشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنها لأهل الكبائر من أمته وبعذاب القبر وأن الحوض حق والصراط حق والبعث بعد الموت حق والمحاسبة من الله للعباد حق والوقوف بين يدى الله تعالى حق ويؤمنون بأن الله تعالى يخرج قوما من الموحدين من النار على ماجاءت به الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وينكرون الجدال والمراء في الدين والخصومة في القدر والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدل ويتنازعون فيه من دينهم بالتسليم للروايات الصحيحة ولما جاءت به الآثار التي رواها الثقات عدلا عن عدل حتى ينتهي ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يقولون كيف ولا لم ؟ لأن ذلك بدعة ويعرفون

حق السلف الذين اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم
ويأخذون بالكتاب والسنة كما قال تعالى فان تنازعتم في شيء
فردوه الى الله والرسول ويرون اتباع من سلف من ائمة الدين وان
لا يتبعوا في دينهم مالم يأذن الله به ويثبتون فرض الجهاد للمشركين
منذ بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم الى آخر عصابة تقاتل الدجال
وبعد ذلك يرون الدعاء لائمة المسلمين بالصلاح وان لا يخرج عليهم
بالسيف وان لا يقاتلوا في الفتنة ويصدقون بخروج الدجال وان
عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام يقتله ويؤمنون بمنكر ونكير
والمعراج وأن الدعاء لموتى المسلمين والصدقة عنهم بعد موتهم تصل
اليهم ويقرون ان الجنة والنار مخلوقتان وأن الشيطان يوسوس للانسان
ويشككه ويخبطه وأن الصالحين قد يجوز أن يخصهم الله تعالى
بآيات تظهر عليهم وأن السنة لا تنسخ بالقرآن ويدينون بعبادة الله
في العابدين والنصيحة لجماعة المسلمين واجتناب الكبائر ويرون
مجانبة كل داع الى بدعة والتشاغل بقراءة القرآن وكتابة الآثار
والنظر في الفقه مع التواضع والاستكانة وحسن الخلق وبذل المعروف
وكف الأذى وترك الغيبة والنميمة والسعاية وتفقد المآكل والمشارب
فهذه جملة ما يأمرون به ويستعملونه ويرونه وبكل ما ذكرنا من
قولهم نقول واليه نذهب انتهى ما اردنا نقله من كلام الاشعري
بلفظه وقد نقله بتمامه ابن القيم في أول كتابه حادي الأرواح الى
بلاد الأفراح مستشهدا به لما ذكره من اجماع اهل السنة على ان
الجنة والنار مخلوقتان اليوم وقال عقبه ما نصه وسقنا جملة كلامه

ليكون الكتاب مؤسسا على معرفة من يستحق البشارة المذكورة ـ يعني البشارة بالجنة ورضوان الله ـ أن أهل هذه المقالة ـ يعنى العقيدة ـ هم أهلها اه وقال الحافظ أبو الحسين الآبري في مناقب الشافعي في الكلام على ابطال حديث لا مهدى الا عيسى بن مريم واثبات أن المهدى غير عيسي ما نصه وقد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة رواتها عن المصطفى صلى الله عليه وسلم في المهدي أنه من أهل بيته وأنه يملأ الأرض عدلا وأن عيسى عليه الصلاة والسلام يخرج فيساعده على قتل الدجال وأنه يؤم هذه الأمة وعيسي خلفه في طول من قصته وأمره اه نقله الامام القرطبي في التذكرة والحافظ ابن حجر في الفتح وساماه ولما ذكر الامام الحافظ ابن حزم في مسائل التوحيد من كتاب المحلى أن شريعة الاسلام ناسخة لسائر الشرائع وأن نبينا خاتم النبيين لا نبي بعده قال ما نصه مسئلة الا أن عيسي بن مريم سينزل واستدل بحديث جابر أسنده من طريق مسلم وقال في كتاب الأطعمة من المحلى أيضا في الكلام على حرمة الخنزير وجواز قتله ـ بعد أن ذكر حديثي أبي هريرة وجابر في نزول عيسي ـ ما نصه فصح أن النبي صلى الله عليه وسلم صوب قتل عيسى عليه السلام للخنازير وأخبر أنه بحكم الاسلام ينزل وبه يحكم اه وقال القاضي عياض في شرح مسلم ما نصه نزول عيسي عليه السلام وقتله الدجال حق وصحيح عند أهل السنة للأحاديث الصحيحة في ذلك وليس في العقل ولا في الشرع ما يبطله فوجب اثباته وانكر ذلك بعض المعتزلة والجهمية ومن

وافقهم وزعموا أن هذه الأحاديث مردودة بقوله تعالى وخاتم النبيين وبقوله صلى الله عليه وسلم لا نبي بعدي وباجماع المسلمين أنه لا نبي بعد نبينا صلى الله عليه وسلم وأن شريعته مؤبدة الى يوم القيامة لا تنسخ وهذا استدلال فسد لأنه ليس المراد بنزول عيسى عليه السلام أنه ينزل نبيا بشرع ينسخ شرعنا ولا في هذه الأحاديث ولا في غيرها شيء من هذا بل صحت هذه الأحاديث هنا وما سبق في كتاب الايمان وغيرها أنه ينزل حكما مقسطا بحكم شرعنا ويحيي من أمور شرعنا ما هجره الناس اه نقله الامام النووي في شرح مسلم ووافقه عليه وقد ورد عن المغيرة بن شعبة في الجمع بين أحاديث النزول وآية خاتم النبيين غير ما سلكه هؤلاء المبتدعة فروى الطبراني من طريق مجالد بن سعيد عن الشعبي قال قال رجل عند المغيرة بن شعبة صلى الله على محمد خاتم الانبياء لا نبي بعده فقال المغيرة حسبك أن تقول خاتم الانبياء فانا كنا نحدث أن عيسى بن مريم خارج فان كان خارجا فقد كان قبله وبعده وهذا الأثر ضعيف الاسناد لا يصح وقد كان المغيرة ذكيا بالغا حد الدهاء فلا يخفى عليه أن نزول عيسى تابعا لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم وعاملا بشريعته لا ينافي حديث لا نبي بعدي كما مر في كلام عياض آنفا والقا ديانية ينسبون الأثر المذكور الى عائشة كذبا عليها ويحذفون منه خروج عيسى عليه السلام ليتسنى لهم أن يقولوا ان قوله تعالى وخاتم النبيين ـ بفتح التاء ـ لا يدل على انقطاع النبوة ناسين قراءة خاتم ـ بكسر التاء ـ وهي تعين الآخرية كما لا يخفى

وقال الشهرستاني في الملل والنحل في الكلام على اختلاف النصارى في عيسى عليه السلام ما نصه ولهم في النزول خلاف فمنهم من يقول ينزل قبل يوم القيامة كما قال أهل الاسلام اهـ وقال الامام القرطبي في شرح مسلم ـ وهو شيخ القرطبي صاحب التفسير والتذكرة ـ في الكلام على حديث جبريل الطويل عند قوله فأخبرني عن أماراتها ما نصه وهي ـ أي أمارات الساعة ـ تنقسم إلى معتاد كالمذكورات وكرفع العلم وظهور الجهل وكثرة الزنا وشرب الخمر وغير معتاد كالدجال ونزول عيسى عليه السلام وخروج ياجوج وماجوج والدابة وطلوع الشمس من مغربها اهـ نقله العلامة الأبي وقال عقبه ما نصه قال ابن رشد ـ يعني الجد ـ واتفقوا على أنه لابد من ظهور هذه الخمسة ـ يعني الدجال وما بعده ـ واختلفوا في خمسة أخر خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب والدخان ونار تخرج من قعر عدن تروح معهم حيث راحوا وتقيل معهم حيث قالوا زاد بعضهم وفتح قسطنطينية وظهور المهدي اهـ وقال الأبي أيضا في شرح مسلم ما نصه وفي العتبية كان أبو هريرة يلقى الفتى الشاب فيقول يا ابن أخي إنك عسى أن تلقى عيسى بن مريم فاقرأه مني السلام تحقيقاً لنزوله فما ذكر ابن حزم من الخلاف في نزوله لا يصح وذكر الباجي حديثاً ضعيف السند أنه ينزل في عاشرة السبعين وتسعمائة ابن العربي ويروى أنه يتزوج امرأة من بني ضبة اسمها راضية ثم يموت ويصلي عليه المسلمون ويدفن في روضة النبي ﷺ وفيها موضع قبر يقال إنما بقي له وذكر ابن العربي الحاتمي

المتأخر أن هذه المرأة ولدت في عاشرة السبعين وولادة المرأة كذبها الوجود المحقق أن نزوله من الأشراط وصح أنه الذي يقتل الدجال وبدعائه يهلك ياجوج وماجوج فإن قلت بم يعرف الناس أنه عيسي قلت بصفاته التي تضمنتها الأحاديث - أي من كونه ينزل من السماء عليه ممصرتان واضعا يديه على أجنحة ملكين الخ ماتقدم - ولا يصح أن يعرف بأنه يتحدى على ذلك لاباحياء الموتي وإبراء الأكمه والأبرص لأن تلك آيات إرساله وهو لا ينزل رسولا لأهل الأرض ابن العربي يروي أنه يصلي وراء إمام المسلمين إبقاء لشريعة النبي صلي الله عليه وسلم واتباعا له وإخزاء للنصاري وإقامة للحجة عليهم اه ماأردنا نقله من شرح الامام الأبي وقال الامام ابن عطية في تفسيره مانصه وأجمعت الأمة على ماتضمنه الحديث المتواتر من أن عيسى في السماء حي وأنه ينزل في آخر الزمان فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ويقتل الدجال ويفيض العدل وتظهر به ملة محمد صلى الله عليه وسلم ويحج البيت ويعتمر اه نقله العلامة أبو حيان في البحر المحيط وقال الحافظ أبو الفتح اليعمري المعروف بابن سيد الناس في عيون الأثر في الكلام على خبر إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه - بعد أن ذكر أن سلمان اجتمع في الشام برجل يجتاز من غيضة إلي غيضة مرة في السنة يعترضه في تلك المرة ذووا الأسقام ليدعو لهم فيشفون وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لسلمان عن هذا الرجل انه عيسى بن مريم - ما نصه قال السهيلي وإن صح هذا الحديث فلا نكارة في متنه فقد ذكر الطبري أن المسيح عليه

السلام نزل بعدما رفع وأمه وامرأة أخرى عند الجذع الذى فيه الصليب تبكيان فكلمها وأخبرهما أنه لم يقتل وأن الله رفعه وأرسله إلي الحواريين ووجههم إلي البلاد وإذا جاز أن ينزل مرة جاز أن ينزل مراراً ولكن لا يعلم به أنه هو حتي ينزل النزول الظاهر فيكسر الصليب ويقتل الخنزير كما جاء فى الصحيح اه وقال الحافظ السيوطى فى علم العقائد من كتاب النقاية ما نصه ونعتقد أن نزول عيسى بن مريم عليه السلام وقتله الدجال حق اه ثم استدل فى شرحه إتمام الدراية ببعض الأحاديث الواردة فى ذلك وقال العلامة السفارينى الحنبلى فى منظومته الدرة المضية فى عقيدة الفرقة المرضية

وما أتي فى النص من أشراط ... فكله حق بلا شطاط
منها الامام الخاتم الفصيح ... محمد المهـــدى والمسيح

وقال في شرحها المسمى لوامع الأنوار البهيه وسواطع الأسرار الأثرية ما نصه قد أجمعت الأمة علي نزوله ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة وإنما أنكر ذلك الفلاسفة والملاحدة ممن لا يعتد بخلافه وقد انعقد إجماع الأمة على أنه ينزل ويحكم بهذه الشريعة المحمدية وليس ينزل بشريعة مستقلة عند نزوله من السماء وإن كانت نبوته قائمة به وهو متصف بها اه وقال الشوكاني فى كتاب التوضيح فى تواتر ماجاء فى المنتظر والدجال والمسيح إن الأحاديث في نزوله عليه السلام كثيرة منها تسعة وعشرون حديثاً ما بين صحيح وحسن وضعيف منجبر ومنهـا ماهو مذكور فى أحاديث الدجال ومنها ماهو مذكور فى أحاديث المنتظر وتنضم إلى ذلك أيضـا الآثار

الواردة عن الصحابة فلها حكم الرفع إذ لا مجال للاجتهاد في ذلك اهـ ثم ذكرها كلها وقال ما نصه وجميع ماسقناه بالغ حد التواتر كما لا يخفى على من له فضل اطلاع اهـ ونحوه في الاذاعة لما كان ويكون بين يدى الساعة للقنوجي وقال أستاذنا العلامة المحدث السيد محمد بن جعفر الكتاني رحمه الله في كتابه نظم المتناثر من الحديث المتواتر ما نصه وقد ذكروا أن نزوله ثابت بالكتاب والسنة والاجماع والأحاديث في نزوله كثيرة اهـ ثم ذكر كلام ابن رشد والشوكاني وغيرهما في التصريح بالتواتر ، وممن نص على نزول عيسي عليه السلام من العلماء الحافظ عبد الغنى المقدسي في كتاب أشراط الساعة والحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق والحافظ ابن كثير في تاريخه والتقى السبكي في كتاب التعظيم والمنة والدميري في حياة الحيوان وابن حجر الهيتمى في فتاويه الحديثية والفقهية والبرزنجى في الاشاعة لأشراط الساعة وابن الحاج في حاشية المرشد المعين ناقلا فيه الاتفاق والكشميرى في إكفار الملحدين والعلامة عبد الحي اللكنوى في مقدمة الفوائد البهية وهو مجمع عليه كما تقدم في كلام غير واحد والخلاف الذي أشار اليه ابن حزم في مراتب الاجماع إنما هو خلاف بعض المعتزلة والجهمية كما يستفاد من كلام عياض السابق وهو خلاف ساقط لأنه حدث بعد انعقاد إجماع الصحابة والتابعين وتابعيهم وأهل السنة والحديث فلهذا لم يعتد العلماء به وحكوا الاجماع وقال الأبي فيما نقلناه عنه إن الخلاف الذي ذكره ابن حزم لا يصح أى لا يعتبر به ولا يؤبه له فلا راحة لصاحب الفتوى

في هذا الخلاف ولا عذر له في اتباعه وهو ملزم ــ إن أخذ به والتزمه ــ أن يكشف للناس عن دخيلة أمره ويبين لهم أنه جهمي حتى يعلم المسلمون أنه من أتباع جهم بن صفوان الضال المبتدع الذي يقول عنه الذهبي : ماعامته روى شيئاً لكنه زرع شراً عظيما اهـ فهنيئاً لمن يكون من أتباع هذا الامام

فصل : واعلم أن من أنكر نزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة فهو كافر كما في كتاب الأعلام بحكم عيسى عليه السلام للحافظ السيوطي لأنه أنكر ما تواتر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومنكر المتواتر كافر كما صرح به ابن دقيق العيد وابن حجر الهيتمي وأبو عبد الله محمد الطالب ابن الحاج وغيرهم بل هو مقرر في كتب الأصول وبهذا فارق المتواتر خبر الآحاد وقد ورد في المسئلة حديث مرفوع أحببنا أن نورده لننبه عليه أخرج الكلاباذى في معاني الأخبار عن محمد بن الحسن بن على عن محمد بن على بن الحسن عن الحسين بن محمد بن أحمد عن اسمعيل بن أبي أويس عن مالك عن ابن المنكدر عن جابر مرفوعا من انكر خروج المهدى فقد كفر بما أنزل على محمد ومن أنكر نزول عيسى فقد كفر بما أنزل على محمد ومن لم يؤمن بالقدر خيره وشره فقد كفر بما أنزل على محمد فان جبريل أخبرني أن الله قال من لم يؤمن بالقدر خيره وشره فليتخذ ربا غيرى ، محمد بن الحسن بن على قال الحافظ أظنه ابن راشد الأنصارى قال وشيخه ماعرفته بعد البحث عنه اهـ قلت وابن راشد ذكره الذهبي وقال روى عن وراق الحميدى

قد ذكر خبراً موضوعاً في الدعاء عند الملتزم هذا كلام الذهبي والحديث الذي ذكرناه باطل من حديث مالك وليس له اسناد يثبت لا من حديث مالك ولا من حديث غيره ، وآفته ابن راشد أو شيخه وفيما تقرر في كتب الأصول كفاية عنه وغناء والله أعلم

فان قيل قد أنكر المعتزلة بعض السمعيات المتواترة ومع ذلك فالراجح عند أهل السنة عدم إكفارهم فكيف يصح اكفار منكر نزول عيسى عليه السلام فالجواب إن إنكار المتواتر كفر كما هو مقرر في الأصول غير أن ابن تيمية قيد ذلك في بعض رسائله بأن يكون الانكار بعد العلم بالتواتر لقيام الحجة حينئذ وقال ابن الحاج في حاشية المرشد المعين إن المتواتر غير المعلوم من الدين بالضرورة لا يكفر منكره إلا بعناد بعد التعليم اهـ والمعتزلة الذين أنكروا تلك المتواترات لم يكونوا يعرفون تواترها لأنهم جاهلون بالحديث الشريف ما رووا منه شيئاً ولا عرفوه فكان جهلهم عذراً حائلا دون أكفارهم على أن أهل السنة اتفقوا على تضليلهم لاقدامهم على مخالفة الله ورسوله بشبه فاسدة باطلة اعتقدوها أصولا صحيحة ثابتة والله سبحانه وتعالى أعلم

باب في مناقشة ألفاظ الفتوى

وهي منشورة في مجلة الرسالة ويلاحظ أولا أن السؤال المنشور في صدر الفتوى سأل صاحبه عن نظر القرآن الكريم والسنة المطهرة في عيسى عليه السلام هل هو حي أو ميت الخ والسائل ـ رغم كونه قاديانيا لا يؤمن بالسنة ـ طلبها في سؤاله

ستراً لموقفه وإتماما لحيلته ، لكن صاحب الفتوى لم يحسب السنة النبوية حسابا ولم يتعرض لها في فتواه إلا راداً ومنكراً وقصر كلامه في عيسى عليه السلام على ثلاث آيات من القرآن في ثلاث سور منه بانياً على ذلك ما اشتهاه من إنكار نزول عيسى وحياته ورفعه ، فأخطأ من عدة وجوه أحدها أنه لم يوف السؤال حقه وذلك بعدم تعرضه للسنة ثانيها أنه ترك آيات من القرآن تعرضت لحياة عيسى ونزوله وغض نظره عنها لأنها تخالف شهوته ، ثالثها أنه أقدم على تفسير ما أورده من الآيات من غير أن يكون عنده علم بما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيها مما يخالف ماقال مع أنه لا خلاف بين العلماء أن أول ما يجب على المتكلم في تفسير القرآن أن ينظر هل ورد عن النبي صلى الله وآله وسلم أو عن أصحابه شيء فإن ورد لم يعدل عنه إلى غيره لأنه عليه الصلاة والسلام مبلغ عن الله ومبين لمراده وأصحابه شاهدوا التنزيل وعرفوا أسبابه وعلموا معانيه بالقرائن والمشاهدة وصاحب الفتوى وإن لم يكن من أهل الحديث ففرض عليه أن يرجع إلى كتب أهل الفن كتفسير ابن جرير وابن كثير والقرطبي وكالصحيحين وشروحها فإن الله تعالي يقول فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ، رابعها أنه تجرأ جرأة عظيمة حيث أعرض عن السنة النبوية إعراضا تاما ولم يذكرها إلا عند ذكر الطرف المقابل الذي لم يرتض هو قوله وهذا مسلك لا يشرف المسلم لأنه مخالفة صريحة لما اتفقت عليه أدلة النقل والعقل من وجوب طاعة رسول الله واتباع كلامه

لأن الله فرض ذلك وجعل رسوله حجة على عباده والآيات كثيرة في إيجاب طاعة الرسول والاخبار بأن طاعته طاعة لله من غير قيد ولا شرط وقد روى أبو داود والبيهقي وغيرهما عن المقدام بن معدى كرب قال حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أشياء يوم خيبر من الحمار الأهلي وغيره ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم يوشك أن يقعد الرجل منكم على أريكته يحدث بحديثي فيقول بيني وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه حلالا استحللناه وما وجدنا فيه حراما حرمناه وإن ماحرم رسول الله مثل ما حرم الله ، إسناده صحيح وروي أبو داود وغيره من حديث أبي رافع نحوه قال البيهقي وهذا خبر من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عما يكون بعده من رد المبتدعة حديثه فوجد تصديقه فيما بعده وروى أبو يعلي وغيره عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وآله وسلم عسي أن يكذبني رجل منكم وهو متكيء على أريكته يبلغه الحديث عني فيقول ما قال رسول الله هذا ، دع هذا وهات ما في القرآن ، وكأن هذا الحديث ماورد إلا ليخبر عن هذه الفتوي الخاطئة التي تمسك صاحبها بالقرآن في زعمه وعطف على السنة بالرد والابطال سالكا في ذلك سبيل الحيل من دعوى الآحادية والاضطراب والتعارض الخ والله يعلم ما يخفي وراء ذلك ومحاسبه عليه وقد قال مكحول والأوزاعي وغيرهما القرآن أحوج إلى السنة من السنة إلى القرآن وقال يحي بن أبي كثير السنة قاضية علي الكتاب وليس الكتاب قاضياً على السنة قال ابن

عبد البر إنها تقضي عليه وتبين المراد منه اهـ ولهذا كان عمر رضي الله عنه يقول خذوا أهل الأهواء بالسنن فان القرآن ذو وجوه والآثار عن الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وغيرهم أكثر من أن تحصي ومن أراد أن يلم بشيء منها فليقرأ كتاب الرسالة للامام الشافعي وجامع بيان العلم وفضله للحافظ ابن عبد البر ومفتـــاح الجنة في الاحتجاج بالسنة للحافظ السيوطي وقد لخص فيه كلام من سبقه فأفاد وأجاد وإنما ذكرنا هذه النصوص مع كون معناها بدهيا لكل مسلم لاننا رأينا صاحب الفتوى لا يبالي بالحديث في كتبه ومقالاته فلا يستدل فيها إلا بالقرآن فقط حاملا لآياته على الغرض الذي يشتهيه محملا لها اياه إن لم تحتمله أما السنة النبوية فلا يعرض لها الا رادا بالتضعيف أو منكراً بالتأويل أما أن يستدل بها كالقرآن فشيء لم نره في كتبه ولا خطر على باله فيما أحسب اللهم إلا أن يكون الحديث في شيء من الأخلاق والآداب وما اليها فيذكره حينئذ ولا يبالي أضعيف هو أم موضوع كان الله وكل اليه أن يفسر القرآن بما شاء حين يشاء وأباح له أن يستدل بالسنة متى شاء في المعني الذي يشاء وبعد هذا ننتقل إلى الفتوى فنجد صاحبها يدعي أن القرآن الكريم عرض لعيسي عليه السلام فيما يتصل بنهاية شأنه مع قومه في ثلاث سور اهـ ونهاية شأن عيسى مع قومه هي التكأة التي بنى عليها صاحب الفتوى ما أراده فهو يريد بها أن عيسي عليه السلام له مع قومه بدء ونهاية كسائر الرسل وقد عرض الله لنهايته مع قومه كما عرض لنهاية الرسل مع أقوامهم واذاً فلا

حياة له ولا رفع ولا نزول هذا مرمى كلامه كشفناعنه وأوضحناه لكن فاته أن الذى أنزل عليه القرآن هو الذى أخبر بالحياة والرفع والنزول كما أخبر بها منزل القرآن أيضا وفاته أن نهاية شأن عيسي مع قومه لا تحظر على الله أن يفعل ماهو جائز عليه من رفع عيسي حياً وإنزاله فى آخر الزمان كما لم يحظر اعتياد ولادة الطفل من أبوين أن يخلق الله عيسى من غير أب وربك على كل شيء قدير وقد قال تعالى وجعلنا ابن مريم وأمه آية، فالتشبث بالسنن الكونية والحكم بها على خالقها قصور في العقل ونقص فى الادراك وضلال فى حكم الشرع ، ثم ذكر صاحب الفتوى قول الله تعالى إذ قال الله ياعيسي إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا وادعي أن كلمة توفى وردت في القرآن كثيراً بمعني الموت حتى صار هذا المعنى هو الغالب عليها المتبادر منها ولم تستعمل فى غير هذا المعني إلا وبجانبها مايصرفها عن هذا المعني المتبادر اه ونهاية ما ادعاه — بعد تسليمه — يقتضي أن يكون التوفى ظاهرا فى الموت ومما تقرر في الأصول وصار معروفا لصغار الطلبة بله كبارهم أن اللفظ يصرف عن ظاهره لدليل فالتوفى يجب صرفه عن الموت للنصوص الصريحة الدالة علي حياة عيسى ونزوله وبهذا يحصل الجمع بين الأدلة ثم ذكر الآيات التى استعمل فيها التوفى بمعنى الموت حتى صار هو المعني الغالب المتبادر فذكر قوله تعالى قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا . الملائكة . توفته رسلنا ومنكم من

يتوفى حتى يتوفاه الموت توفني مسلما وألحقني بالصالحين اهـ
وأقول غفل عن أن هذه الآيات التي أوردها قد ذكر بجانبها
مايصرفها إلى الموت ولولا ذلك لعرفت إلى معنى آخر من معاني
التوفي المتواطئة فالآية الأولى ذكر فيها ملك الموت صريحا والآية
الثانية والثالثة ذكر فيهما الملائكة الذين يحضرون الميت لتبشيره
أو تخويفه ويسمون أعوان ملك الموت والآية الرابعة حذفه
صاحب الفتوى أولها لحاجة في نفسه ونحن نذكرها قال تعالى حتى
إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون فقد ذكر فيها
الموت صريحا أيضا كالآية السادسة والآية الخامسة حذف منها
أيضا قرينة الموت وأصلها هكذا : هو الذي خلقكم من تراب
ثم من نطفة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا
ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون ،
فذكر التوفي من قبل بلوغ الأشد والشيخوخة قرينة ظاهرة على
أن المراد به الموت والآية السابعة قرينتها أنها دعاء لأن من المعلوم
لكل واحد أن الانسان يدعو أن يموت على الاسلام إذ العبرة
بالخاتمة كما جاء في الحديث الصحيح إنما الأعمال بالخواتيم وهكذا
لا تجد في القرآن آية ذكر فيها التوفي مرادا به الموت إلا وتجد
فيها قرينة تدل على ذلك وتحقيق المسألة على وجه الايجاز أن مادة
التوفي موضوعة في اللغة لمعنى واحد هو قبض الشيء واستيفاؤه
وهذا المعنى قدر مشترك بين قبض الروح بالنوم أو الموت وقبض
الدين وقبض الأجر على عمل ما وغير ذلك من المعاني التي يطلق

عليها لفظ التوفي فهو من قبيل المشترك المعنوى والقاعدة فيه أنه
إذا أريد فرد معين من أفراده قيد اللفظ بما يدل على ذلك الفرد
وعلى هذا الأسلوب جاء القرآن الكريم فانه تارة أراد بالتوفى
خصوص الموت فقيد اللفظ بالقرينة الدالة عليه كالآيات السابقة
وتارة أراد خصوص النوم فقيده أيضاً كقوله تعالى وهو الذى
يتوفاكم بالليل ويعلم ماجرحتم بالنهار الآية وقوله تعالى الله يتوفى
الأنفس حين موتها والتى لم تمت في منامها الآية وتارة أراد الأجر
والجزاء كقوله تعالى ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون
وقوله تعالى وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فنوفيهم أجورهم فاذا جاء
اللفظ مجرداً عن القرينة لم يجز أن يدعى أن هذا المعنى أظهر فيه من ذلك بل
يحمل على أصل المعنى الذي هو القدر المشترك ويترك ما عداه إلى أن يقوم على
تعيينه دليل وبهذا البيان الوجيز يهار ما ادعاه صاحب الفتوى في آيتى
آل عمران والمائدة ويتضح أنه غلط ليس له من التحقيق العلمى
نصيب والعجب العاجب فى شأن هذا المفتى أن نجده يظهر بمظهر
الحريص على التمسك بظاهر القرآن حيث يقول ومن حق كلمة
توفيتني في الآية أن تحمل على هذا المعنى المتبادر وهو الاماتة
العادية التي يعرفها الناس ويدركها من اللفظ ومن السياق الناطقون
بالضاد اهـ ثم نجده فى كلمة له فى الشيطان يقول إنه قوة الشر
الكامنة في النفس أى أنه عرض مخالفاً صريح القرآن والسنة
فى أن الشيطان كائن حى يتكلم ويوسوس ويجيء ويذهب إلى آخر
أوصاف الأجسام الحية !!! فالذي يتمسك بظاهر القرآن فى وفاة

عيسى كيف يتأتي منه أن ينكر صريح القرآن والسنة في جسمية الشيطان ؟ ! ! ماهذا الا تناقض قبيح وتلاعب بالنصوص منشأه الهوى والغرض ، ثم ادعاؤه ان الاماتة السادية يدركها من اللفظ ومن السياق الناطقون بالضاد فيه تعريض بالصحابة والتابعين وعلماء المسلمين الذين حملوا التوفي على قبض البدن حيا جمعا بين الأدلة كما هو الواجب فهؤلاء كلهم لم يكونوا ينطقون بالضاد ولم يكونوا يعرفون السياق حتى جاء هو بعد منتصف القرن الرابع عشر فنطق مالم ينطقوه وعرف مالم يعرفوه فسبحان الفتاح العليم ! ! ثم ادعي أنه لاسبيل الي القول بان الوفاة مراد بها وفاة عيسي بعد نزوله من السماء بناء على زعم من يرى أنه حي في السماء وأنه سينزل منها آخر الزمان اه وأقول هذا أحد الأدلة من كلامه على انه لايحترم السنة ولا يقيم لها وزنا وان ادعي خلاف ذلك بلسانه ، لأن الآلوسى نقل عن قتادة في قوله تعالى اني متوفيك ورافعك الى قال هذا من المقدم والمؤخر أى رافعك الي ومتوفيك ثم قال الآلوسى وهذا أحد تاويلات اقتضاها مخالفة ظاهر الآية المشهور المصرح به في الآية الأخرى - يعني بل رفعه الله اليه - وفي قوله صلى الله عليه وآله وسلم ان عيسى لم يمت وانه راجع اليكم قبل يوم القيامة اه وصاحب الفتوى رأى هذا في تفسير الآلوسي ومنه نقل قول قتادة بالمعنى فماذا فعل ؟ عمد الي آية سورة النساء الصريحة كما قال الآلوسى فأولها لتوافق ظاهر آية سورة آل عمران - مخالفا ما أجمع عليه أهل الأصول أن الصريح

لا يقبل التاويل وأن الظاهر هو الذى يؤول ليوافق الصريح ـ
وسكت عن الحديث فلم يعره اذنا صاغية بل سماه فيما بعد قصصا
وروايات مضطربة لم يقم على الظن بها فضلا عن اليقين برهان
ولاشبه برهان ! فبرهن على أنه يحترم الحديث النبوى احتراما
يتلاقى من بعض الوجوه مع احترام القاديانية له أيضا !! فليعذرنا
القراء اذا اشتددنا عليه فى الكلام وتلونا عليه بعض مايعرفه قدر
سنة نبينا عليه الصلاة والسلام وبعد هذا قد اتفق العلماء ـ الا وهب
بن منبه الكتابي ! وابن حزم الظاهرى ! ـ على أن قول الله تعالى
اذ قال الله ياعيسي اني متوفيك ورافعك الى مصروف عن الموت
الحقيقي ثم اختلفوا فقيل معنى متوفيك قابضك ومستوفي شخصك
من الارض وقيل معناه منيمك ورافعك نائما رفقا بك وقيل جاعلك
كالمتوفى لأنه بالرفع يشبهه وقيل آخذك وافيا بروحك وبدنك
فهو فى معنى رافعك والعطف حينئذ للتفسير وقيل مميت قواك
الشهوانية العائقة عن ايصالك بالملكوت وقيل غير ذلك مما حكاه
الآلوسي ثم قال عقبه مانصه والصحيح كما قاله القرطبي أن الله تعالى
رفعه من غير وفاة ولانوم وهو اختيار الطبرى والرواية الصحيحة
عن ابن عباس وحكاية أن الله تعالي توفاه سبع ساعات ذكر ابن
اسحق أنها من زعم النصارى ولهم فى هذا المقام كلام تقشعر منه
الجلود ويزعمون أنه فى الانجيل وحاشا لله ماهو الا افتراء وبهتان
عظيم اه وهذا على القول بأن الآية لاتقديم فيها ولاتأخير فان
قيل بذلك وهو قول قتادة كما تقدم فالتوفي معناه الموت ويكون

ذلك بعد نزوله كما هو ظاهر وانما صرف العلماء التوفي عن معنى الموت لوجود الأدلة الدالة على حياة عيسى عليه السلام وأنه رفع الى السماء حيا فمن الأدلة قوله تعالى ويكلم الناس في المهد وكهلا ومنها قوله تعالي وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته وقد تقدم الكلام على هاتين الآيتين ومنها قوله صلى الله عليه وآله وسلم لليهود ان عيسي لم يمت وانه راجع اليكم قبل يوم القيامة وقد ذكرناه من مرسل الحسن وهو مؤيد باحاديث وآثار ومنها مارواه ابن عدى في الكامل عن أنس قال بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذ رأينا بردا ويدا فقلنا يارسول الله ماهذا البرد الذي رأينا واليد قال قد رأيتموه قلنا نعم قال ذالك عيسى بن مريم سلم علي ، اسناده ضعيف لكن أخرج ابن عساكر من طريق آخر عن أنس أيضا قال كنت أطوف مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حول الكعبة اذ رأيته صافح شيئا لانراه قلنا يارسول الله رأيناك صافحت شيئا ولانراه قال ذالك أخي عيسى بن مريم انتظرته حتى قضي طوافه فسلمت عليه ، وقد ثبت في الصحيح عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأى في ليلة عيسي بن مريم يطوف بالبيت وثبت في حديث الأسراء أنهما اجتمعا في بيت المقدس وفي السماء الثانية ، ولذا عده أهل الحديث صحابيا قال الحافظ الذهبي في التجريد : عيسي بن مريم نبي وصحابي فانه رأي النبي صلى الله عليه وآله وسلم فهو آخر الصحابة موتا اه وكذا قال الحافظ العراقي

في نكته على ابن الصلاح والحافظ ابن حجر في الاصابة والحافظ السيوطي في التدريب وفي الاعلام بحكم عيسى عليه السلام والصحابي عند المحدثين والأصوليين هو من رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو اجتمع به في اليقظة لا في المنام وفي الحياة لا بعد الممات وحيث ان عيسى صحابي فهو أفضل من الخلفاء الأربعة بلا شك وقد الغز فيه التاج ابن السبكي بقوله

من باتفاق جميع الخلق أفضل من خير الصحاب أبي بكر ومن عمر
ومن علي ومن عثمان وهو فتى من أمة المصطفى المختار من مضر؟

قال العلامة أبو عبد الله محمد الطالب ابن الحاج في حاشية المرشد وجوابه:

ذاك ابن مريم روح الله حيث رأى نبينا المصطفى في أحسن الصور
فوق السموات ليلا عندما اجتمعا كذاك عند طراب البيت والحجر

ومنها قوله تعالى بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما وهذه الآية نص في حياة عيسى ورفعه لأن الله تعالى نفى عنه القتل والصلب ثم عطف ببل مثبتا له الرفع والمقرر في كتب اللغة العربية التي نزل بها القرآن العظيم أن بل اذا تلت نفيا أو نهيا كانت حرف اضراب واستدراك تقرر حكم ماقبلها وتثبت نقيضه لما بعدها وقد ذكر أهل المعاني العطف ببل وبلا من طرق القصر وقالوا انه أقوي طرقه للتصريح فيه بالنفي والاثبات فكلمة بل في الآية لقصر القلب ترد على اليهود والنصارى ما اعتقدوه من قتل عيسى وتثبت نقيض ذلك وهو حياته ورفعه هذا هو ماتفيده

الآية صراحة بحسب قواعد اللغة وأساليب البلاغة . وهو الذي يفهمه كل عربي فصيح بذوقه السليم الصحيح أما حمل الآية على تقدير الاماتة العادية بأن يقال بل أماته الله ورفعه اليه كما فعل صاحب الفتوى والقاديانية فمن سقط الكلام الذي يجب أن ينزه عنه القرآن العظيم لأن الاماتة العادية تتفق مع القتل في الغاية وهي ازهاق الروح كما قال الشاعر

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره تعددت الأسباب والموت واحد فلا تكون الاماتة نقيضاً للقتل الا من حيث الصورة والقرآن أدق من أن يقصد الصور الظاهرية وأجل من أن يحمل عليها هذا مع مايلزم على ذلك التقدير من المفاسد أحدها التجرؤ على تأويل الآية رغم صراحتها وهذا شيء لم نعهده من أحد من أهل الاسلام حتى جاء القاديانية فزلوا وضلوا حيث جعلوا عقيدتهم الفاسدة أصلا يؤول ماخالفها نصا كان أو ظاهرا ثانيها تأويل الرفع وصرفه عن الحقيقة إلى المجاز من غير وجود قرينة تدل على ذلك ثالثها عدم وجود فائدة لذكر الرفع لأنه إما أن يراد به رفع الروح أو رفع المكانة وكلاهما عديم الفائدة لان كل ميت ترفع روحه إلى بارئها مقتولا كان أو غير مقتول والرسل عليهم الصلاة والسلام كلهم مرفوعو الرتبة والمكانة عندالله فلا تظهر فائدة لتخصيص عيسى برفع روحه أو مكانته لاسيما وفي الرسل من هو أفضل منه ومن أوذي أكثر من إذايته كابراهيم وموسى عليهما الصلاة والسلام فانهما أفضل من عيسى عليه الصلاة والسلام وأوذيا من قومهما

أبلغ اذاية ولم ينص على رفع روحهما أو مكانتهما وقد كانا أولى
بالتنصيص على ذلك رابعها أن الله تعالى اقتصر على ذكر الرفع
وجعله مبطلا لما ادعاه اليهود من القتل والصلب ولو كان معناه
ماذكر لم يكن مبطلا لدعوى اليهود بل متفق معها لأن رفع مكانة
الرسول أو رفع روحه بعد موته لا ينافي وقوع الاذاية له من
قومه بقتل أو غيره بل ذلك يزيد في رفعته عند الله ولذا تجد
تواريخ الرسل حافلة بما لاقوه من أنواع الاذايات التي يشيب
لها الوليد من قتل وغيره وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم
اذا اشتد به ايذاء قومه يقول رحم الله أخي موسى لقد اوذي
بأكثر من هذا فصبر خامسها أن رفع المكانة لا يستلزم الموت كما
هو ظاهر وكذلك رفع الروح لأن النائم ترفع روحه وتسيح في
عالم المثال وحينئذ فقد كان يجب التصريح في الآية بذكر الموت
بأن يقال بل أماته الله ولا يقتصر على الرفع الذى لا يستلزمه ولا يدل
عليه سادسها أن الله تعالى مدح نفسه بقوله وكان الله عزيزا حكيما
ولو كان في الآية اماتة عادية كما يزعم صاحب الفتوى لم يكن
للمدح معنى لأن ذلك أمر عادى مطرد في جميع المخلوقات ولا نذا
مارأينا الله تعالى مدح نفسه على اماتة نبي أو رسول كيف
والموت مصيبة بشهادة القرآن ؟ قال تعالى ان أنتم ضربتم في الارض
فاصابتكم مصيبة الموت وانما رأيناه يتمدح باهلاك الظلمة الكفرة
انتقاما لأنبيائه ورسله وماصح الامتداح بالاهلاك الالما انطوى
عليه من الخوارق الدالة على كمال قدرته وشدة انتقامه سابعها أن

حمل الرفع على رفع المكانة او الروح مخالف لما أطبق عليه علماء التفسير من الصحابة وغيرهم فانهم فسروه بالرفع الحقيقي الذى هو نقلة الجسم من عالم الأرض الى عالم السماء وقالوا ان عيسى أعطى استمدادا لذلك وقطعت عنه علائق الشهوة وعوائق المادة وليس في ذلك مايحيله العقل ولا مايصادمه العلم بل نجد في تطورات هذا الزمن ومخترعاته مايؤيد ذلك ويقربه الى العقول المريضة المحصورة في دائرة ضيقة من التفكير فلا يتسع أفقها للتصديق بما غاب عنها ولو قامت الدلائل العلمية على وقوعه وفي مثل هؤلاء يقول الله تعالي بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تاويله ، وقد أخرج ابن أبي شيبة وابن جرير والنسائي وابن أبي حاتم باسناد صحيح على شرط مسلم عن ابن عباس قال لما أراد الله أن يرفع عيسى الى السماء خرج على أصحابه وفى البيت اثنا عشر رجلا منهم من الحواريين فخرج عليهم من عين في البيت ورأسه يقطر ماء فقال ان منكم من يكفر بي اثنى عشر مرة بعد أن آمن بي ثم قال ايكم يلقي عليه شبهي فيقتل مكاني فيكون معي في درجتي فقام شاب من أحدثهم سنا فقال له اجلس ثم اعاد عليهم فقام الشاب فقال اجلس ثم أعاد عليهم فقام الشاب فقال أنا فقال أنت هو ذاك فألقي عليه شبه عيسي ورفع عيسى من روزنة في البيت - يعني كوة - الي السماء قال وجاء الطلب من اليهود فأخذوا الشبه فقتلوه ثم صلبوه فكفر به بعضهم اثني عشر مرة بعد أن آمن به وافترقوا ثلاث فرق وذكر بقية الأثر قال ابن كثير في

في تاريخه وهكذا قال غير واحد من السلف وأخرج ابن جرير بسند صحيح عن كعب قال لما رأى عيسى قلة من اتبعه وكثرة من كذبه شكا ذلك إلي الله فأوحى الله إليه إني متوفيك ورافعك إلي وإني سأبعثك على الأعور الدجال فتقتله ثم تعيش بعد ذلك أربعاً وعشرين سنة ثم أميتك ميتة الحي قال كعب وذلك تصديق حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال كيف تهلك أمة أنا في أولها وعيسي في آخرها وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن الحسن في قوله تعالي إني متوفيك ورافعك إلي قال رفعه الله إليه فهو عنده في السماء

وتقدم في حديث أبي هريرة وحديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم التصريح بأن عيسي ينزل من السماء وتقدم في حديث ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم اجتمع بعيسي في السماء وأخبر أنه نازل ليقتل الدجال وتقدمت آثار بهذا المعنى وتقدم قول ابن عطية أجمعت الأمة على ما تضمنه الحديث المتواتر من أن عيسي في السماء حي فهذا إجماع يضاف الى ما سبق فيكون رفع عيسي حياً ثابتاً بالكتاب والسنة والاجماع ووهب ابن منبه قال ان عيسي مات ثلاث ساعات رفع خلالها الي السماء ثم رجعت إليه الحياة فلا يعد مخالفاً للاجماع وابن حزم قال بموت عيسى ورفعه وقوفا مع لفظ اني متوفيك ورافعك الي فلم يخالف في الرفع وإنما خالف في الحياة لجموده علي ظاهر اللفظ كما هو شأن الظاهرية ولم نجد عن أحد غير هذين القول بموت عيسى أو عدم

رفعه بسند صحيح يعتمد عليه وقوله تعالى إني متوفيك معناه قابضك

من الدنيا ببدنك وروحك حياً كما تقدم عن ابن عباس وغيره

وقوله ورافعك إلى قرينة على ذلك إذ لم نجد في القرآن موتاً ذكر

بجانبه الرفع أصلا لأن الميت يدفن في الأرض ولا يرفع إلى السماء

كما قال الله في شأن الانسان ثم أماته فأقبره وكذلك قوله تعالى

حكاية عن عيسى عليه السلام فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم

معناه فلما قبضتني بالرفع الى السماء كما قال ابو حيان وغيره من أئمة

اللغة والتفسير واما قوله تعالى حكاية عن عيسي ايضاً والسلام على

يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حياً فليس فيه إلا الاخبار

بأنه سيموت وهو حق لاشك فيه ولكن موته لم يحصل كما أن

البعث لم يحصل وسيحصلان فيما بعد ولا بد ، وقوله تعالى وماجعلنا

لبشر من قبلك الخلد لايدل على موت عيسي لأمرين أحدهما أنه

عام فيخص منه عيسى للأدلة الدالة علي حياته عملا بما هو مقرر

في الأصول والأمر الثاني أن تبقي الآية على عمومها من غير أن تشمل

عيسي أيضا لأن المراد بالخلد في الآية البقاء الطويل في عالم الأرض

لأن المشركين كانوا يقدرون أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم

سيموت فيشمتون بموته فأنزل الله الآية رداً عليهم ، وعيسي لم يمكث

في الأرض بل رفع إلى عالم السماء فهو كالميت بسبب انفصاله من

هذا العالم الأرضي إلى عالم لاتجرى عليه الأغيار الجسمانية ولا

تعتوره التقلبات الزمانية ، وأخبرني شخص كان قاديانياً ثم أسلم أن

القاديانية يستدلون علي موت عيسى بحديث هذا لفظه لو كان

موسى وعيسى حيين ماوسعهما إلا اتباعي وهذا حديث مكذوب ما نطق به رسول الله ولا رواه عنه أحد من أهل الحديث ثم أراد صاحب الفتوى بعد إذ حمل رفع عيسى على رفع المكانة كما فعل القاديانية ـ وهو باطل كما بينا ـ أن يؤيد ذلك فقال وظاهر أن الرفع الذى يكون بعد التوفية رفع المكانة لا رفع الجسد خصوصاً وقد جاء بجانبه قوله "ومطهرك من الذين كفروا" مما يدل على أن الأمر أمر تشريف وتكريم اهـ وأقول القاديانية هم الذين حملوا الرفع فى الآية على رفع المكانة فقلنا لهم هذا مجاز لا بد له من قرينة قالوا ذكر التوفى قبله والتطهير بعده قرينتان قلنا أما التوفى فلا يصلح قرينة لأمرين الأول أنه يطلق على الموت والنوم وقبض الدين والأجر الخ . فهو محتمل يحتاج فى تعيين المراد منه إلى قرينة وما هو محتاج إلى قرينة فى نفسه كيف يكون قرينة على تعيين المراد من غيره ؟ الثاني أن رفع المكانة ثابت لكل رسول فى الحياة وبعد الممات فكيف يعقل أن يكون التوفى قرينة على رفع مكانة عيسى مع أن ذلك ثابت له ؟ ! ! ماهذا إلا من لغو الكلام ، وأما قوله تعالى ومطهرك من الذين كفروا فهو قرينة على رفع الجسد لا رفع المكانة لأن الله تعالى وعد عيسى بأن يطهره من الكفار فلا يجوز أن يحمل على التطهير المعنوى لأمرين الأول أن هذا التطهير حاصل لكل رسول لأن الله لم يختر لرسالته إلا أطهر الناس نفساً وأزكاهم عملا فكيف يصح أن يعد الله عيسى بالتطهير وهو حاصل له ؟ ! الثانى أن التطهير المعنوى لا يمنع إذاية الكفار وظلم الأشقياء فكم لاقى رسل الله

المنظورون من إذاية واضطهاد وهذا والله اعلم لما اراد الله ان يضمن رسوله الحفظ من القتل قال له والله يعصمك من الناس أي يمنعك من الناس ان يقتلوك ولم يقل له والله يرفع مكانتك على الناس ولا قال والله يطهرك من الناس ، لأن الرفع والتطهير المعنويين لا يدلان على الحفظ من القتل والايذاء ولا يستلزمانه بحكم العقل ولا العادة كما هو ظاهر وحيث تبين بطلان حمل التطهير في الآية على المعنوي تعين حمله على التطهير الحسي وهو رفع جسد عيسي حياً وتخليصه من ايدي الكفار الذين ارادوا قتله وصلبه فالآية تفيد نقيض ما اراده القاديانية الجهلة الذين لا يعرفون اللغة العربية ولا يفهمون اسرار القرآن العظيم ، ثم قال صاحب الفتوى — والقاديانية معه في هذا — ما نصه وقد جاء الرفع في القرآن كثيراً بهذا المعنى في بيوت اذن الله ان ترفع نرفع درجات من نشاء ورفعنا لك ذكرك ورفعناه مكاناً علياً يرفع الله الذين آمنوا الخ اه وأقول لنا الحق ان نسأل الشيخ عن ورود الرفع مجازاً كثيراً في القرآن هل هذه الكثرة جعلت لفظ الرفع ظاهراً في المعنى المجازى بحيث إذا أطلق اللفظ انصرف إليه كما جعلت الكثرة أيضاً لفظ التوفى ظاهراً في الموت في زعمه ؟ ! إن قال نعم ، أتى بالتناقض لأن معنى قولنا هذا المعنى ظاهر أنه لا يحتاج إلى قرينة ومعنى قولنا إنه مجاز أنه لا يفهم إلا بقرينة تدل عليه فكيف يتفق الأمران في كلمة وهما متباينان ؟ وان قال لم تجعله الكثرة ظاهراً بل لا يزال معنى مجازيا يحتاج إلى علاقة وقرينة قلنا له صدقت وحينئذ فقولك

كثيراً لغو فى الكلام ليس لذكره فائــــدة سوى التطويل والتهويل ؛ والآيات التى أوردها ظاهر فيها المجـــاز لوجود قرائن تدل عليه إلا قوله تعالى فى إدريس عليه السلام ورفعناه مكاناً علياً فقيل إنه رفع بجسده حقيقة إلي السماء قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك والسدى والمسئلة مبسوطة فى غير هـذا الموضع ثم قال صاحب الفتوى . وإذن فالتعبير بقوله ورافعك إلى بل رفعه الله إليه كالتعبير فى قولهم لحق فلان بالرفيق الأعلى وفى ان الله معنا وفى عند مليك مقتدر وكلها لا يفهم منها سوي الرعاية الخ وأقول تجرأ هذا المفتى وأقدم على القول بأن مراد الله برفع عيسي الرفع المجازي وبتوفيه الاماتة العادية وأهدرما فى الآيات المتعلقة بعيسى من نكت بلاغية وأسرار لغوية تقضي بحياته ورفعه كما نبذ الأحاديث والآثار وأقوال العلمــاء وراءه ظهريا لأنه يشتهى الظهور أمام المتشبعين بالعلم الحديث بمظهر العالم الذى لا يقبل عقله الخرافات لكن فاته أن رفع عيسى حياً جائز فى العقل وارد فى الشرع وما كان كذلك فرده ، لاقبوله ، هو الخرافة ؛ وقد قضت الضرورة العقلية بتنزه الله سبحانه عن المكان والزمان لأنه خالقهما فلهذا أول العلماء قوله تعالى ان الله معنا عند مليك مقتدر وقولهم لحق فلان بالرفيق الأعلى إنما يقال في الشخص الذى يموت فموته قرينة ملموسة محسة وأين هذا من آيات نزول عيسى وحياته ورفعه التي بعضها صريح والظاهر منها بينته السـنة المتواترة ؟ وقول صاحب الفتوي فمن أين تؤخذ كلمة السماء من كلمة إليه ؟ تجاهل يزرى

بصاحبه ومع هذا نجيبه على قدر تجاهله فنقول أخذت كلمة السماء
من كلمة إليه بدليلين قطعيين أحدهما أن المكان في حق الله محال
ثانيهما أن السماء مهبط الوحي ومسكن الملائكة وقبلة الدعاء
ومنزل الرزق فأضيفت إلي الله تشريفاً كما يقال في الكعبة بيت
الله وفي ساكن مكة جار الله وهذا أمر يدركه الطلبة ، قال
النيسابوري في تفسيره أما قوله ورافعك إلى فالمشبهة تمسكوا بمثله
في إثبات المكان لله وأنه في السماء لكن الدلائل القاطعة دلت
علي أنه متعال عن الحيز والجهة فوجب حمل هذا الظاهر علي التأويل
بأن المراد إلي محل كرامتي ومقر ملائكتي والمراد التفخيم والتعظيم
أو المراد الي مكان لا يملك الحكم عليه هناك غير الله فان في الأرض
ملوكا مجازية اهـ والعجيب من الشيخ ان يتجاهل في كلمة إليه
الدليل القاطع الذي دل علي وجوب تقدير كلمة السماء مع أنه أوجب
ملاحظة كلمة أماته الله في كلمة بل رفعه الله من غير أن يجيز هذه
الملاحظة دليل ظني فضلا عن قطعي ! ! ! ثم قال صاحب الفتوى
وبعد فما عيسي إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ناصبه قومه
العداء فالتجأ إلى الله فأنقذه بعزته وخيب مكر أعدائه وهذا هو
ماتضمنته الآيات فلما احس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري
إلى الله الخ ، فهو يبشره بانجائه من مكرهم ورد كيدهم في نحورهم
وأنه سيستوفي اجله حتي يموت حتف انفه من غير قتل ولا صلب
ثم يرفعه الله اليه وهذا هو مايفهمه القارىء للايات الواردة في شأن
نهاية عيسى مع قومه متي وقف علي سنة الله مع انبيائه حين يتألب

عليهم خصومهم ومتى خلا ذهنه من تلك الروايات التي لا ينبغي ان تحكم في القران اه واقول كل ما ابداه باطل لا قيمة له ويكفينا في بيان بطلانه ان نعلمه ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي اخبر بحياة عيسى ونزوله وهو الذي وكل الله إليه بيان القران وبيان الدين كله وقد اشتمل كلام الشيخ - مع مخالفته لكلام الله ورسوله - على تعليلات هي اشبه بالأقاصيص والخرافات وهو يظنها اقصى ما تصل إليه العقول البشرية في هذا الوقت فقوله وبعد فما عيسى إلا رسول قد خلت من قبله الرسل تمهيد ليس له محل في هذا الموضع وإنما محله ان يقال في الرد على النصارى الذين يزعمون الوهية عيسى او بنوته لله تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً وقوله وهذا هو ما يفهمه القارىء للايات الواردة في شأن نهاية عيسى مع قومه يقال عليه لا يفهم القارىء ما ذكرته إلا إذا كان متصفاً بوصفين أحدهما جهله بالبلاغة وأسرار اللغة العربية ثانيهما جهله بالسنة فبهذين الوصفين يفهم القارىء من الآيات أن عيسى مات وأنه لم يرفع وأنه لا ينزل كما فهم القاديانية ذلك لجهلهم ، ونهاية عيسى مع قومه ليست بواجب عقلي يلزم من فرض تخلفه محال حتى نضطر إلى تأويل القران ورد الأحاديث من أجلها ! فما بال الشيخ كررها بضع مرات ؟ ! وقوله متى وقف على سنة الله مع أنبيائه يقال عليه سنة الله مع أنبيائه مختلفة فمنهم من تسلط عليه أعداؤه حتى قتلوه ومنهم من أنجاه الله ثم طرق الانجاء مختلفة ولكنها متفقة في أن النبي يبقى - بعد انجائه - حياً لتقر

عينه بهلاك أعــــدائه وانظر إلي نوح وإبراهيم وموسي وهود وصالح ولوط ويونس وغيرهم عليهم صلوات الله كيف أبقاهم الله بعد انجائهم حتى شاهدوا هلــكة أعدائهم فسنة الله مع أنبيائه تقتضي أن يبقى عيسي بعــد انجائه حياً ليشاهد مكر الله باليهود وتقر عينه بذلك وهذا نقيض مايدعيه الشيخ فانظر كيف أتي بما هو دليل عليه وهو لايشعر ؟ ! ! وقوله ومتى خلا ذهنه من تلك الروايات التي لا ينبغي ان تحكم فى القرآن ، ينطوى على امر خطير جداً لأنه يحض على تجاهل السنة ويحرض على عدم الرجوع إليها فى تفسير القرآن العظيم وليت شعرى بماذا يفسر كلام الله إذا لم يرجع فى تفسيره إلي كلام رسول الله وكلام اصحابه ؟ ! ! يقول الله لنبيه وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ويقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قال فى القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النــار ثم يجيء الشيخ فى آخر الزمان فيقول يكتفى فى تفسير كلام الله بما يفهمه القارىء الخالى الذهن من السنة أى لا علم عنده بها ولا شعور فيجعل الجهــل شرطاً فى التفسير ! ! وقد بقيت فى كلامه أشياء واضحة البطلان ولا داعي الى إضاعة الوقت بمناقشتها ثم ذكر الشيخ خلاصة بحثه وفتواه وهي بالضرورة باطلة لبطلان ما بنيت عليه فلا حاجة إلى الــكلام عنها وليرجع القارىء إلى حكم منكر نزول عيسي عليه السلام فقد بيناه أواخر الباب الأول من هذا الــكتاب وإلي هنا ينتهي ماأردناه من إقامة البرهان ، وهو كاف شاف ، والحمد لله رب العالمين .

تصويبات

ص ٣٠ س ٩ وأما إذا ص ٣٧ س ١٢ التاسع ص ٣٧ س ١٤
العاشر ص ٣٩ س ٢٠ الثاني ص ٤٤ س ٥ أشبه ص ٤٤ س ١٧
جزئين ص ٥٩ س ٤ هوهنا ص ٧٠ س ٦ الزاق ص ٧٧ س ١٢
لا ص ٧٨ س ٩ الجمة ص ٨٥ س ٢٠ إذ ص ٩٥ س ١٦ ظرف
لذو ص ٩٦ س ١٧ حزور ص ١٠٥ س ١٥ حاتم ١٠٧ س ١٤ قبل
ص ١٠٨ س ١٨ الصحيح ص ١١٨ س ١ آية من